الدكتور محمد صالح الأصيل

أبو الفرج .. لحّالاً

أحاديث

أبو الفرج.. الخالد

الدكتور محمد صالح الأصيل

أبو الفرج ... كحّالاً

أحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
موافقة وزارة الإعلام ٩١٢٠٥
تاريخ ٢/٣/٢٠٠٦م

صمم الغلاف وكتب الخطوط الأستاذ
جمال بوستان

أبدع وأخرج الكتاب
الدكتور محمد صالح الأصيل

حقوق الطبع محفوظة له

تعريف بالكاتب

تعريف بالكاتب

○ ولد في البوكمال بتاريخ ٧/ ١١/ ١٩٤٦م من أبوين ولدا في العراق ، ويعود نسبه إلى راوة التي ينسب أهلها إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما كما هو في كتب الأنساب .

○ درس الابتدائية والإعدادية والثانوية في بلدته البوكمال وكان أول طالب يدخل كلية الطبّ البشري من الذين نالوا الشهادة الثانوية من مدينة البوكمال نفسها .

○ حصل على الإجازة في الطبّ البشري من جامعة دمشق .

○ اختّص في بريطانيا في جراحة العين وطبّها ونال عضوية الكلية الملكية سنة ١٩٧٩ .

○ من أوائل الذين قاموا بعمليات قطع الجسم الزجاجي والشبكية في سورية وتناولت أحاديثه وسائل الإعلام المكتوبة والمحكية والمرئية .

○ يمارس عمله في عيادته الخاصة وفي قسم العيون التخصصي بالمركز الطبي الحديث بمدينة دمشق .

○ عُرفَ الأصيل طبيباً ولكن اهتماماته الأدبية والشعرية التي كان مفطوراً عليها ، والتي نمت بكثرة المطالعة والكتابة جعلت منه شاعراً وأديباً متميّزاً . وقد شد الناس بأحاديثه في مجالسه الخاصة وفي البرامج الأدبية في إذاعة دمشق.

○ كتب مئات القصائد منذ كان في الجامعة ولكن لم توافه الفرصة للنشر فجمعها وأخرجها في عدة دواوين بعد أن صار طبيباً .

○ عضو في اتحاد الكتّاب العرب .

□ من مجموعاته المنشورة :

نثراً :

١ ـ حدث أبو الفرج الطبيب :

كتاب أدبي يشبه في أسلوبه مقامات الحريري والهمذاني وبلاغة ابن المقفّع .
قدم له الأديب حسن حميد .

٢ ـ وعاد أبو الفرج :

كتاب يبحر بك إلى كنه الفلسفة ، وطيب العرفانية ، ومجد الكلام .
قدم له الأديب حسن حميد .

١ ـ أبو الفرج كحالاً :

كتابٌ من كتب التراث العربي الأصيل ذي الصلة والنسب بما قدمه ابن أبي أصيبعة وابن سينا وابن الكندي .
قدم له الأديب حسن حميد .

٤ ـ حقيقة الحجامة بين النص الشرعي والفهم الخاطئ :

رسالة قدم لها الأستاذ هشام الحمصي

شعراً :

١ ـ هدب القافية :

مجموعة غزلية كتبها خلال دراسته الجامعية وقدم لها الأديب أحمد المفتي .

٢ ـ تقاسيم على مقامات الوجع :

مجموعة في رثاء أهله وأحبائه ، وتوجّع على مرابع صباه ، وقدم لها الأديب أحمد المفتي .

٣ ـ درّة الشهداء :

ملحمة في استشهاد الطفل محمد الدرّة .

٤ ـ الأزمنة الحبلىٰ بالرفض :

مجموعة سياسية قدّم لها الأديب الكبير حافظ الجمالي .

٥ ـ قراءات في دفاتر الزمن :

قصيدة ملحمية تستلهم التاريخ لتصور واقع العرب والمسلمين .

قدم لها الصحافي الشاعر عصام قدوري .

٦ ـ للمدن الشرقية أغني :

مجموعة شعرية يبكي فيها الشاعر زمانه ، ويغني لبيئته .

قدّم لها الأديب الدكتور وليد مشوح .

٧ ـ قطوف من بستان القلب :

قصائد من القلب لمن سكنوا القلب . . .

قدم لها الشاعر

٨ ـ صحبة الشعر :

حواريات مع أصحابه . . .

قدم لها الشاعر

تتميّز مطبوعات الأصيل بالأناقة والجمال ورفعة الذّوق والتذوّق .

الإهداء

إلى سيدي أبي القاسم صلى الله عليه وسلم القائل :

ثلاثة أعين لا تمسها النار

- عين فقئت في سبيل الله
- وعين حرست في سبيل الله
- وعين بكت من خشية الله

عساني نجي إياه

أقارب سنته

فأفوز بإحداها

صالح

في

في الكتاب

الأديب الروائي حسن حميد

في الكتابة

- ١ -

ما أصفى هذا الوِرد الذي تنهل منه ،
وما أحلىٰ الترجيع حين يتصاعد . . حمداً .
وما أجمل هذه اليد التي تكتب بأصابعها
ما يخلد ، ويبقىٰ ، ويدوم .
وما أبهىٰ هذه العين الرائية التي تصطفي .
وما أقدر هذا الإحساس على الملامسة . .
والبث .

وما أطيب هذا الكلم ، وقد استقام كأعمدة ضوء .

وما أمتع الصحبة ، والغايات تحوّم فوق السطور كالطيور ،

وما أوقع المعنىٰ وقد تدافع حمحمةً . . كالخيول .

- ٢ -

نعم ،

لكأن المرء يكاد يُنكر ما يرى ، وما يعي ، وهو يقرأ هذه الطروس المتتالية انثيالاً بالمعرفة الحق ، والمعاني الكبار . . التي حبّرتها روح أخي محمد صالح الأصيل ، هذا الرجل التراثي بامتياز ، عاشقُ صفاءِ ما مضىٰ ، وما كان ، عاشقُ الترانيم والإيقاعات التي أوجدها العربُ والمسلمون أيامَ النهوضِ السامي ، وقد فاضت محبتهم علوماً ،

وأخلاقهم مودات ، وخطاهم دروباً ، ورؤاهم كتباً لا ينافس النفيس منها سوى النفيس .

أقول هذا ، وأنا أقرأ كتاب أخي الأصيل (أبو الفرج . . كحالاً) فيغمرني الشوق المشتهى الذي تبحث عنه النفوس في زمن هو لنا ، أدماه الهجر ، وعذّبه النكران ، وخرمته الأحزان ثم خرَّبته .

يغمرني الشوق بفرحٍ نادرٍ قد لا تنشَقُّ عنه الأيام إلا مصادفة ، ذلك لأن هذا الكتاب تراثٌ بامتيازٍ منذ استهلاله وحتى خواتيمه ، فالروحُ السارية فيه روحٌ تراثية ، والمعاني ، والمقاصدُ ، والتراكيبُ ، والبلاغةُ ، والقطعُ ، والالتفاتُ ، . والإمالةُ ، والتَلَبُّثُ ، والتَوَثُّبُ ، والاستدارةُ ، والانعطافُ ، والطيُّ ، والتحييدُ والتجسيدُ ، واللمحُ ، والخطفُ ، والمساررةُ ، والمشافهةُ ، والإبانةُ ، والوقعُ ، والايقاعُ ، والدهشُ ،

والإحالةُ ، والإسنادُ ، والمتونُ والهوامشُ ، والعتباتُ . . كلها آتيةٌ من أَحيازِ التراث . . حتى لو أن المرء غطى بكفه الرحيمة اسم المؤلف الأصيل ، وترك الكتابَ خلواً من التعريف لظنه نَوَابِهُ القومِ كتاباً من كتب التراث العربي الأصيل ذي الصلة والنسب بما قدمهُ ابنُ أبي أُصيبعة ، أو ابنُ سينا ، أو الكندي . . **وهذه ميزةٌ لا يقوىٰ على القيام بها ، في زمننا الباهتِ هذا ، سوى عقولٍ حباها الله بأسرارِ العرفانية العزيزة .**

- ٣ -

هذا كتابٌ . . قد يشي بأنه كتابٌ مرجعي في طب العيون ، أو معاني الإبصار ، وهذا حقٌّ ، لكنه ليس كذلك في اجتماعه وكليته ، فإن صحَّ أن متنهُ يروم هذه الغاية فينهض بها ، فإنه يصح أيضاً إذا قلنا إن هوامشه وحواشيه متونٌ أخرىٰ تنهض بثقافةٍ علميةٍ باذخةٍ تجولُ

استبصاراً بالنفس وقد غدت باصرةً ، وبالروح وقد غدت وعاءً ، وبالمعاني وقد غدت بغيةً .

إنه كتابٌ فيه إشراقٌ ، وضوءٌ ، ونوافذُ ، وعطرٌ مُستجبىٰ من بساتين المعرفةِ ، وعوالمِ التأويلِ ، وداراتِ الوجدِ والأنوارِ السامية .

هذا الكتابُ لكاتبٍ فتحَ اللهُ عليه بواباتِ الكَلِمِ الطيبِ ، والعلومِ النجيبةِ ، والمودّاتِ الباقيات شواهدَ على الأصابعِ التي مسّها الضوءُ بفضيلةِ العطاءِ . . والإبانةِ .

استهلال

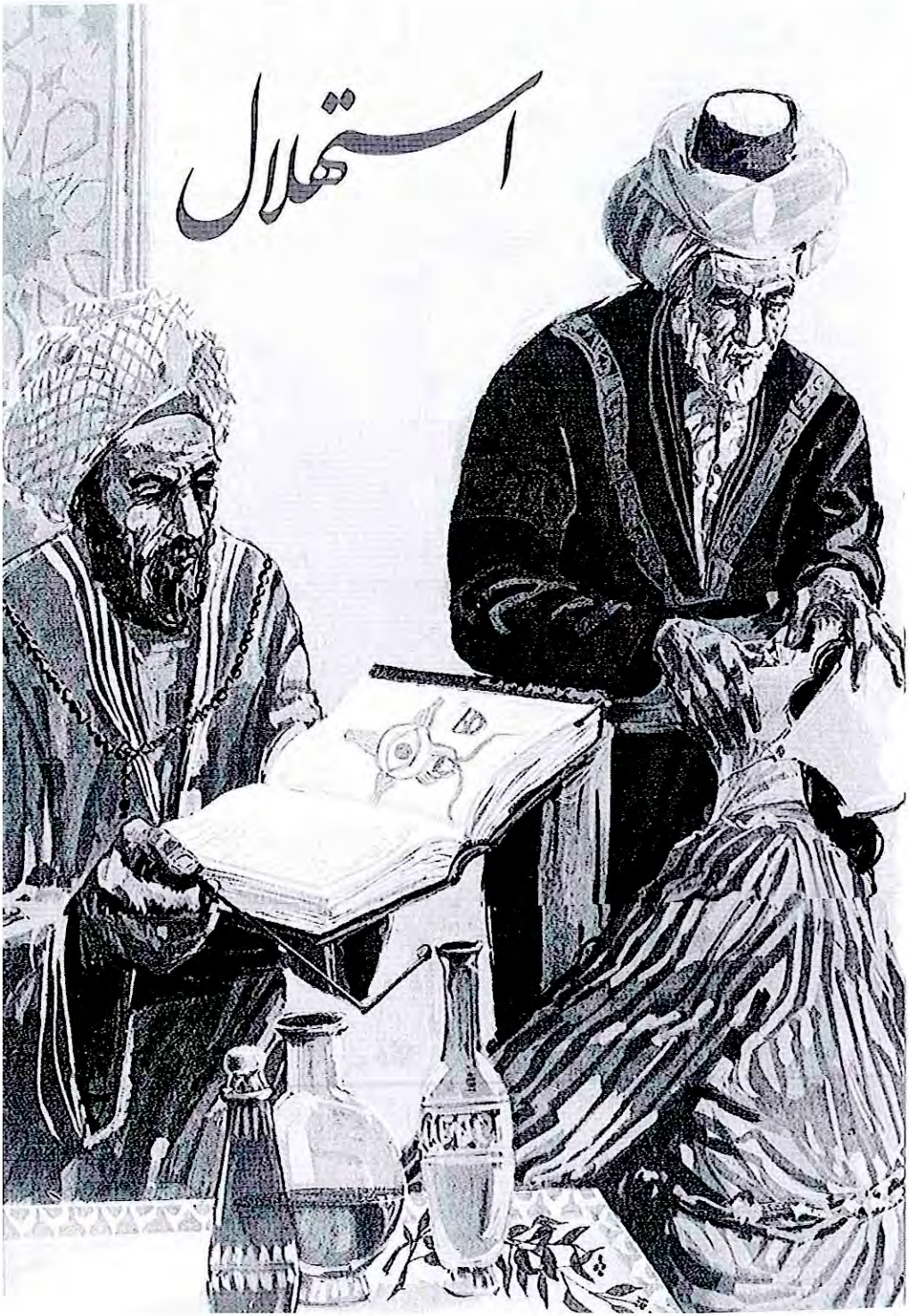

الاستهلال

فكرةٌ ،
غذاها خوفٌ ،
أَرَّقاني لياليَ طوالاً ،

أما الخوفُ ـ وأنا الشاعرُ المشغوفُ باللغةِ العربيةِ ـ فمنْ ضياعِ مفرداتٍ فيها تُوَصِّفُ عضوَ الإبصارِ (العينَ) ، أجزاءً وأفعالاً ، وأنا أرى زملاءَ يغمرهم الخجلُ ، إن تَبَيَّنَ أن أحدهم

لا يتقنُ ذلكَ بلغةٍ أجنبيةٍ ، ولا يستحيي أنه لا يعرفها بلغةِ أمهِ وأبيهِ ، وفصيلتهِ التي تُؤْويهِ ، حتى لينطقُ هذا الواحدُ نصفَ حديثهِ باللغةِ الأجنبية ملتفتاً إلى الحضور سائلاً عمَّا يقابلُ ذلك من لغةِ بني جلدتهِ ، ومعتذراً أنه لا يجيدُ غيرَ ذلك ، اعتذارَ المتعالي ! . .

وأما الفكرةُ ، فأن أتصدى ـ وأنا طبيبُ العيونِ ـ لصناعةِ معجمٍ يقفُ في وجهِ ذلكَ الضياعِ ، فَأَتَهَيَّبَ . . .

وأُواسي نفسيَ قائلاً :

أسماءُ أجزاءِ العينِ تحفظها كتبُ التشريحِ ، وتوصيفاتُ الأفعالِ ، تحفظها كتبُ علمِ الوظائفِ ، أما المعاني فكفى بمعاجمِ اللغةِ العربيةِ شارحاً . . .

ثم أنكفىءُ :

من هذا الذي يتجشمُ هاتيكَ الصعاب ليبحثَ عن كلمةٍ أو معنى ؟!.. فأتشجعُ من جديدٍ للتصدي لهذا العملِ ... ثمّ .. أتهيبُ من جديدٍ وهكذا دواليك ...

حتى إذا كانت ليلةٌ ، اكتملَ بدرُها ، ورقَّتْ نسائمها ، وشفَّ صفوها ، ورهفَ شجوها ، طرق بابي أبو الفرج .. وأتحفني بهديةٍ ، علبةٍ مغلقةٍ .. فتحتها فإذا فيها كتابٌ ، عليه غبارُ سنينَ .. قرأته مراراً ، فإذا بي في كل مرةٍ يتملكني العجبُ أشدَّ من سابقتها ... يا لأبي الفرج هذا !.. كيف له أن يقرأَ أفكاري ، ويعرف ما بنفسي ، ويحكي عني كأنه أنا؟!...

ولكي أشركَكُمْ عجبي ، ها أنا ذا أنفضُ غبارَ السنينِ عن هذا الكتابِ ، وأقدمه لكم كما قدمهُ لي أبو الفرج . وإذا كانَ من عادتي أن أصيخَ بكل الشوقِ ، وملءَ النبضِ ، إذا حدّثَ أبو الفرج ، فهذا إذنْ هو وقتُ الإصاخةِ .

الكتاب

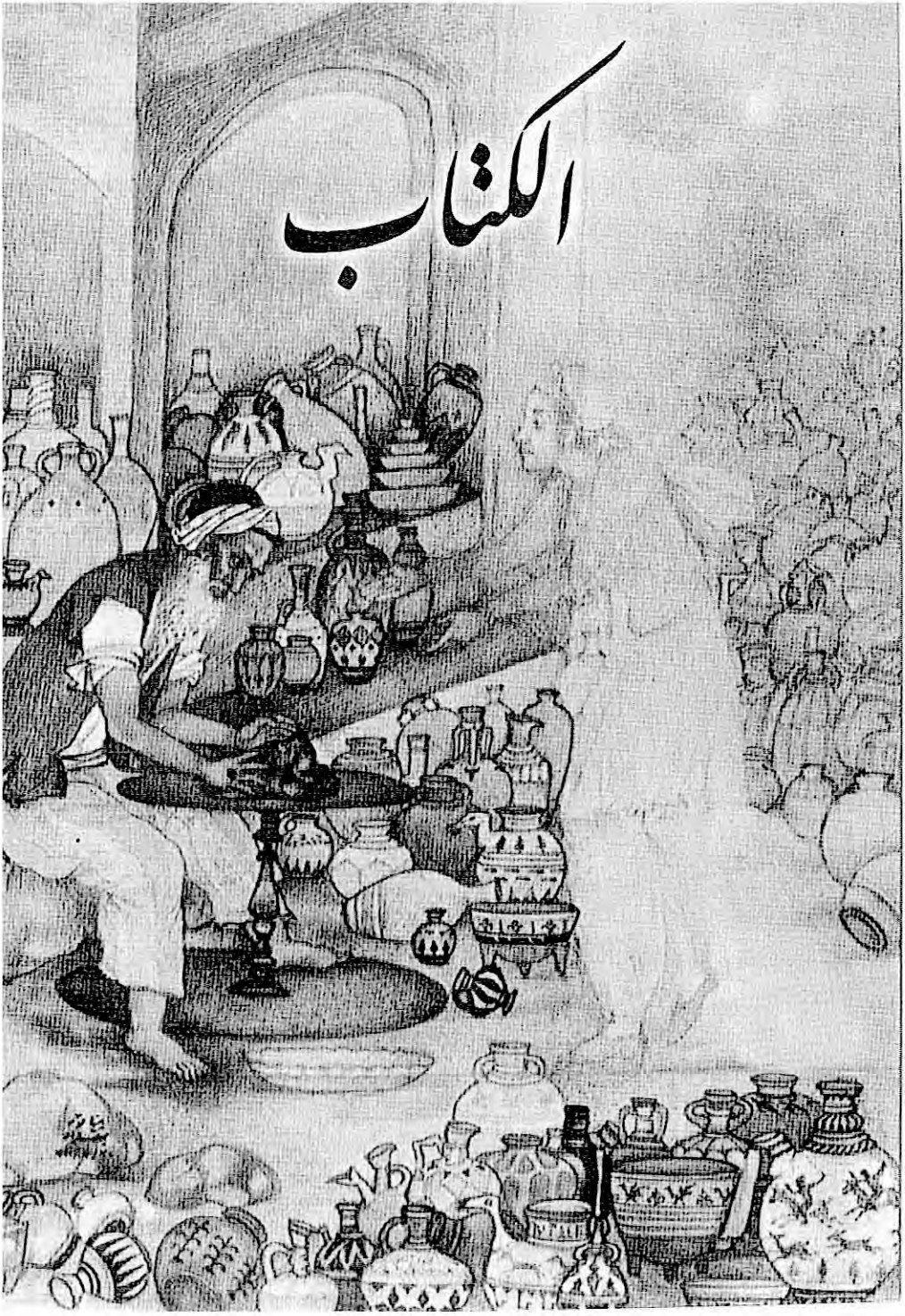

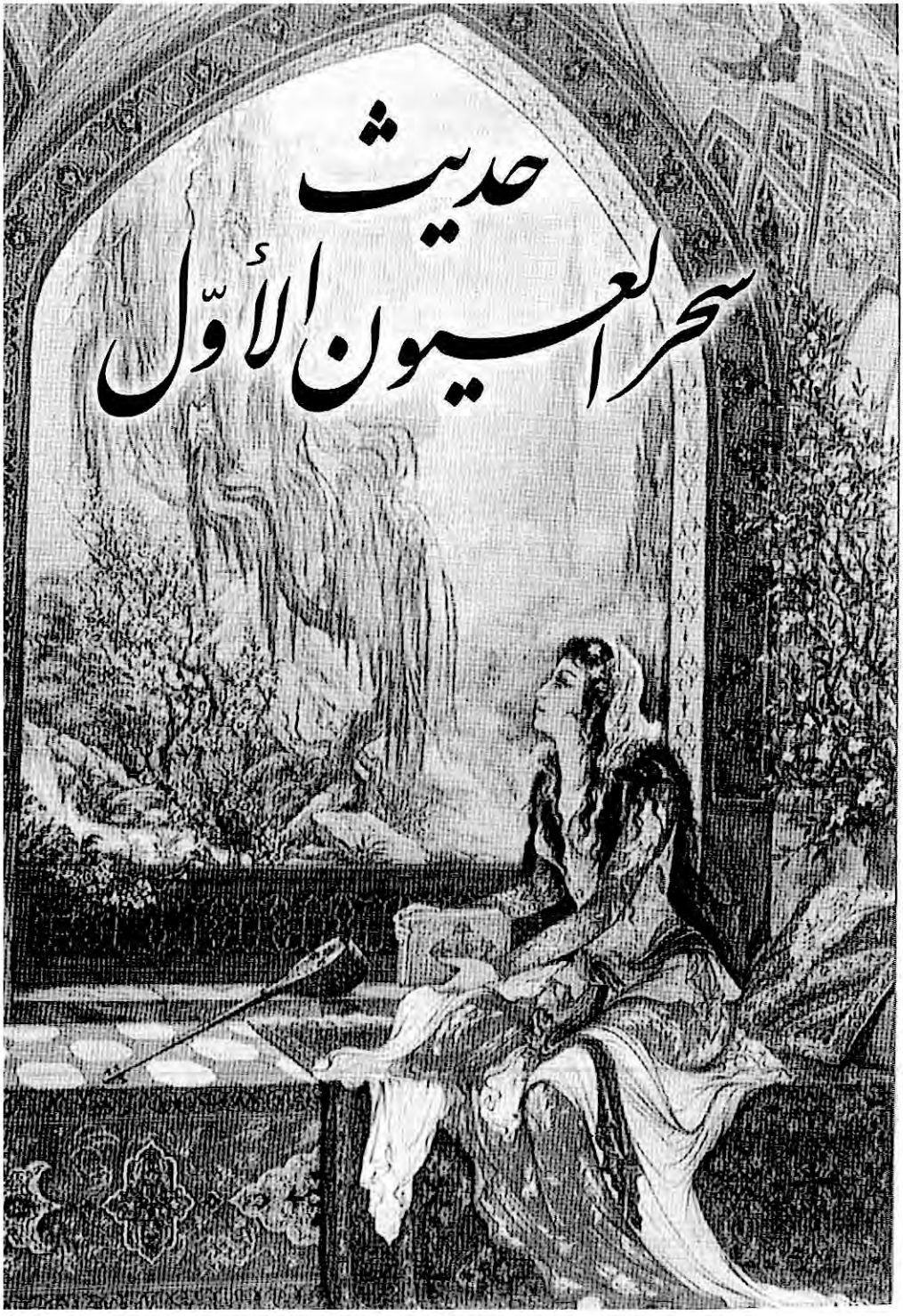
حديث
سحر العيون الأوّل

حديث سحر العيون الأول

حَدَّثَ أبو البَقاءِ الهُذَلِيُّ قالَ :

أخبَرَنا « تَأَبَّطَ خَيْراً » راويةُ أبي الفرجِ ، وكانَ اسمَهُ « ثابتٌ » قالَ :

ارْتَحَلْنا إلى البَصْرةِ نَطْلُبُ مؤونةَ الشتاءِ ، وكنتُ رديفَ أبي الفرجِ على راحِلَتِه ، فَصَلَّيْنا ذاتَ عشاءٍ في الجامعِ الكبيرِ بالبصرةِ ، فقرأَ الإمامُ قولَ اللهِ تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ [الروم ٢٢]

فلمّا قُضِيَت الصلاةُ ، انْفَتَلَ أبو الفرجِ عن يمينِه ، وقالَ :

منذُ أَنْ جَعَلَ اللهُ ذلكَ الاختلافَ في الألسنِ من إحدى أكبرِ آياتِهِ ، لمْ تعرفْ لغةٌ قطُّ في أَدبياتِها ، ذلكَ الكمَّ الهائلَ من النصوصِ التي تعاملتْ مع العَيْنِ ، سواءٌ أكانتْ شعراً ، أَم نثراً ، كما عَرَفَتْهُ اللُّغَةُ العربيةُ . . .

ولا عَرَفتْ لغةٌ قطُّ ذلكَ الكيفَ الآسرَ ، الذي ينقُلُكَ إلى أرضِ الدهشةِ ، لِتَسْبَحَ في عالمِ الأسطورةِ والحُلْمِ ، على الحدِّ الفاصلِ بين الواقعِ والمستحيلِ ؛ كما فعلتْ أدبياتُ هذهِ اللغةِ ، الفريدةِ ، التي اخْتَصَّهَا ربُّ الأكوانِ ،

من بينِ جميعِ الألسنِ ، ليُنَزِّلَ بها آخرَ كُتُبِهِ السماويةِ ، المعجزَ النظمِ ، والبيانِ ، ليتحدَّى به الثَّقَلَيْنِ ، حتى يرثَ اللهُ الأرضَ ، ومنْ عليها ، وما عليها .

قال « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ :

يا أَبا الفرجِ منذُ رَحَلْتَ إلى بلادِ الرومِ ، صَرَفْتَ العمرَ ، تُكَحِّلُ عيونَ الناسِ ، حتى عُرِفْتَ بالطبيبِ الكَحَّالِ ، فما الذي أغواكَ بالعينِ لِتَدْرُسَها طِبًّا ، وترسُمَها أَدَباً ؟! .

قالَ أبو الفرجِ :

احتفالُ العربِ في أدبياتهم ، بهذا الجزءِ ، النبيلِ ، الجميلِ ، منذُ أَنْ كانتْ لهم لغةٌ يتشافهونها ، وقبلَ أن تدونَّ كتابةً ، جَعَلَهُم يُطلقونَه على النفائسِ منْ كلِّ شيءٍ ، فيقولون :

عيونُ الحكاياتِ ـ عيونُ المعارفِ ـ عيونُ التواريخِ

عيونُ الأخبارِ ـ عيونُ الأنباءِ ـ عيونُ الحكمةِ

مجلسُ الأَعيانِ

أعيانُ البَلَدِ

عينُ الحقيقةِ ـ عينُ اليقينِ

عينُ الخيالِ . .

وهكذا . .

ولا عَجَبَ . . .

فإن كانَ اللهُ سبحانَه وتعالى قد خلقَ للإنسانِ خمسَ

حواسَّ ليتعاملَ بها مع مُحيطِهِ ، فَقَدْ جَعلَ ثلاثاً منها ، السمعَ ، والشمَّ ، والذوقَ ، تتأثرُ ، ولا تؤثرُ ، وجعلَ اثنينِ ، النظرَ ، واللمسَ ، تقومُ بالدورينِ معاً ، تؤثرُ ، وتتأثرُ ، لكنّهُ قَيَّدَ اللمسَ بالقربِ بينَ عاملينِ ، لامسٍ وملموسٍ ، وحبى حاسَّةَ النظرِ بهاتينِ الخاصتينِ ، لقربٍ وبعدٍ ، ولعددٍ لا محدودٍ من البشر ومكوناتِ الطبيعةِ في آنٍ معاً .

قالَ « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ :

وكيف يا أبا الفرجِ تقومُ العينُ بالدورينِ معاً ؟! .

قالَ أبو الفرجِ :

إذا انطلقَ السُّرى أَخْبَرْتُكَ . .

ثم قامَ يُصلي ما شاءَ اللهُ لهُ أنْ يُصلي .

حديث سحر لعيون الثاني

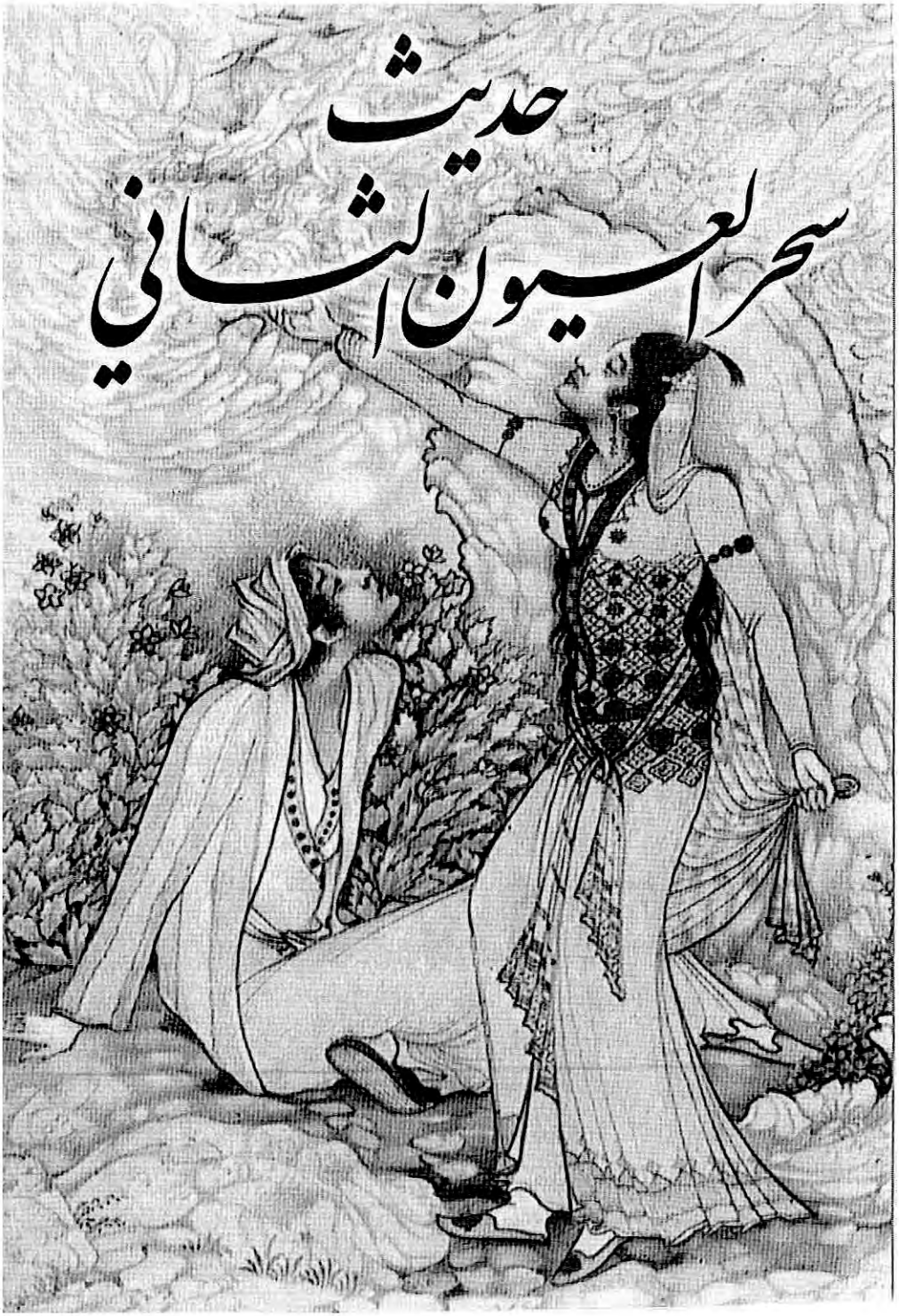

حديث سحر العيون الثاني

حَدَّثَ أبو البقاءِ الهُذَلِيُّ قالَ :

أخبرنا « تَأَبَّطَ خَيْراً » قالَ :

بعدَ ليلتينِ انطلقنا عائدينِ إلى باديةِ السماوةِ ، فما إن بدأَ السُّرى حتى قلتُ ، وكنتُ رديفَ أبي الفرج على راحِلَتِهِ :

﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ . . [الإسراء ٣٤]

قال : نعمْ ؛ وتريدُ أنْ تعرفَ كيفَ تُؤثرُ العينُ وتتأثرُ ؟! .

قلتُ : هوَ ذاكَ . .

قالَ :

سيتناسىٰ هذا العَالَمُ الجاحدُ ، أنَّ العربَ سيكونونَ أولَّ من يُنَبِّهُ إلى هذهِ الحقيقةِ ، حيثُ كانَ الناسُ قبلهمْ يظنونَ أن العينَ ترسلُ أشعةً لترى ، حتى جاءَ ابنُ الهيثمِ ، لِيَقْلِبَ هذه المقولةَ ، مؤكداً أنَّ العينَ هيَ التي تتلقى الأشعةَ لترى ، فأثبتَ أنها هي التي تتأثرُ ، ثم يأتي جريرٌ الشاعرُ ليؤكدَ الخاصيَّةَ الثانيةَ ، خاصيةَ التأثيرِ إلى حدِّ القتلِ حينَ يقولُ :

إِنَّ العُيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ
قَتَلْنَنَا ، ثـمَّ لَـمْ يُحْيِينَ قَتْـلانَـا

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حتى لا حَراكَ بِهِ
وَهُـنَّ أَضْعَـفُ خَلـقِ اللهِ إِنْسـانَـا

قال « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ :
ومن ابنُ الهيثمِ ، ومنْ جريرٌ ؟! .

قالَ أبو الفرجِ :
أَمَّا الأَولُ فعالِمٌ عربيٌ يأتي في قابل الأيامِ ، وأما الثاني فشاعِرٌ سيعرِفُهُ الناسُ أكثرَ مما يعرفونَ الخليفةَ ! . .

قالَ « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ :
وهلْ سيعْرِفُ الرومُ حقَّ ابنِ الهثيمِ هذا ؟! .

قالَ أبو الفرجِ :
ربما مُكرهينَ ! .

فإن كانتْ الحضارةُ رُقِيّاً أَخلاقِيّاً ، وتَقَدُّماً عِلْمِيّاً ، فإنَّ الرومَ سيسمقونَ في ثانيهما ، وينحدرونَ في أولهما إلى دركاتٍ ، يستحيي كثيرٌ من خلقِ اللهِ ، غيرُ بعضِ بني البشرِ ، أن ينحدرَ إليها . .

وما سيجري بعد مئاتٍ من السنينِ في أكنافِ بيتِ المقدسِ ، سيكونُ شاهداً على ما أقولُ ، وعيونُنا التي ستتأثرُ كلَّ يومٍ بما سوفَ تشاهدُهُ من ذبحٍ لإخوةٍ لنا في الأرضِ المُقَدَّسَةِ ، هي ذاتُها التي سوفَ ترى العالَمَ يضعُ يَدَيْهِ على عينيهِ كيْ لا يرى أحفادَ رعاةِ البَقَرِ الذين لنْ

يتخلوا عنْ عقيدَتِهم في القتلِ ، ومحوِ الآخرِ ، حتى يأتيَ زمانٌ يُنَصِّبُ رئيسٌ لهم نَفْسَهُ راعياً لأبقارِ الزمانِ ، وهذا إيمانُهُ ؛ بأنَّ للزمانِ أبقاراً ، مهما تطاولتْ الآمادُ ، وتعاقبتِ الدهاريرُ ، وهم بعرفِهِ ، كلُّ من لا يكون معه ، ويصدِّقُ ، ويصادِقُ على ما يقولُ ، وإنْ قالَ الشيءَ صباحا ، وجاءَ بضدهِ في المساء . . فمحورُ الشرِّ غيرُهم ، ومحورُ الخيرِ المحضِ همْ ، فسبحانَ الذي ركَّبَ عقلَ ذبابةٍ في جسمِ ديناصورٍ وأطلقَ عليه اسمَ « أمريكا » ! . .

قال « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ :

يا أبا الفرجِ . .

اعذرْ جهلي . .

فما أمريكا هذه ؟! .

قالَ أبو الفرج :

بلادٌ خلفَ بحرِ الظلماتِ ، يغزوها رعاةُ بقرٍ ، يبيدون أهلَها ، مثلما أبادوا لِتَوَّهِمْ إخواناً لنا في جنوبِ بلادِ الرومِ التي تسمى «الأَنْدَلُسُ» . . ثم يأتينا منهمْ بلاءٌ كثيرٌ ، ثم تلا :

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران ١٨٦]

يقولُ « تَأَبَّطَ خَيْراً » :

واللهِ لكأنَّ أبا الفرجِ يتكلمُ مثلَ نَبِّي !! .

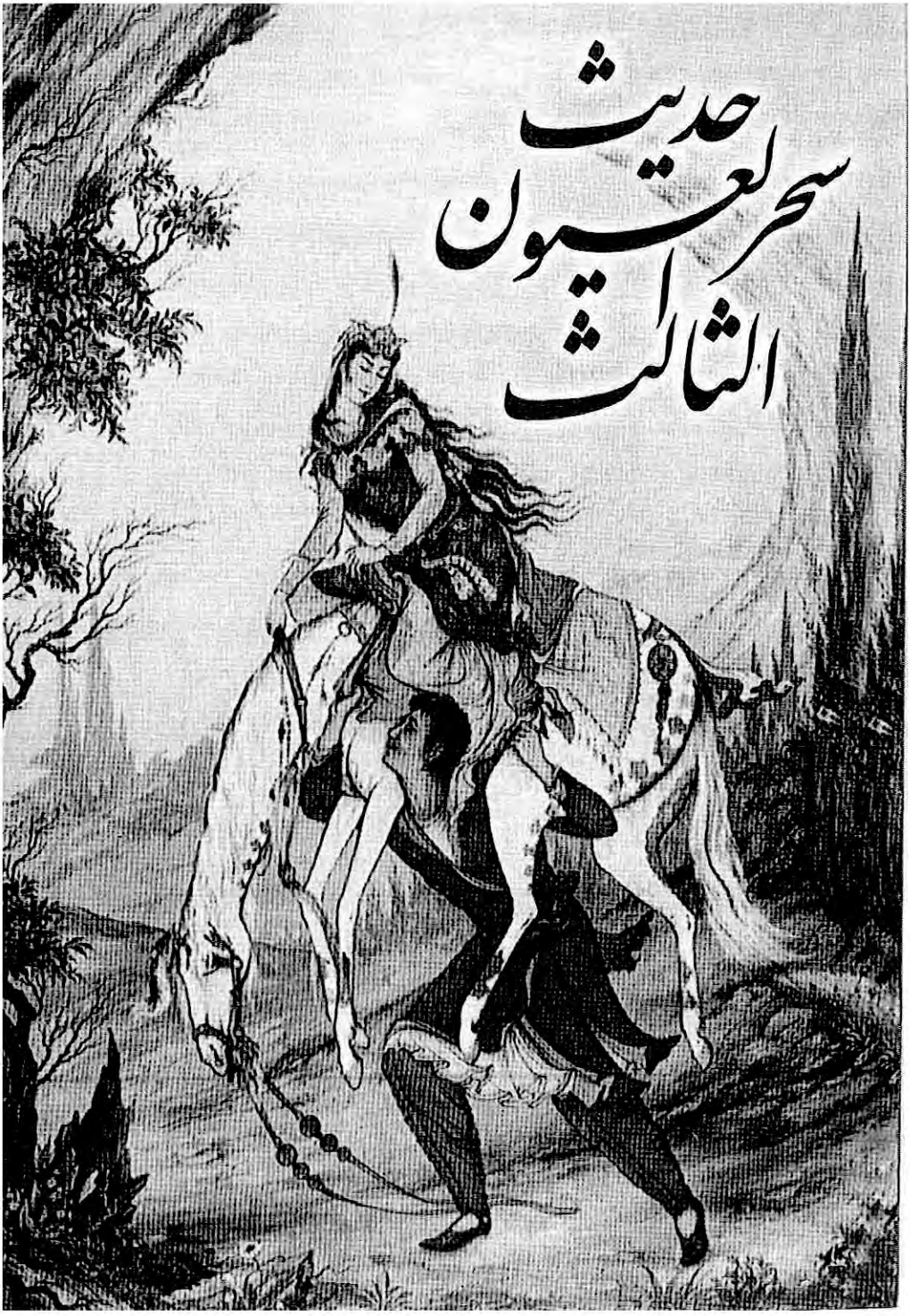
حدیث
سحر لعیون
الثالث

حديث سحر العيون الثالث

حَدَثَّ أبو البقاءِ الهُذَليُّ قالَ :
حدَّثَنا « تَأَبَّطَ خَيْراً » قالَ :

في الليلةِ التاليةِ حين طابَ السُّرى ، قلتُ :
يا أبا الفرجِ أنتَ تقولُ إنَّ نظرةً ما ، تستطيعُ أنْ تَنْقُلَ إليكَ مشاعِرَ يَعْجَزُ الكلامُ الكثيرُ عن نَقْلِهِ ! .
فكيفَ ذاكَ ؟! .

قال أبو الفرجِ ، دونَ أن يلتَفِتَ :

يا ثابتُ . .

لَوْ أَنَّكَ كنتَ ترى نظرةَ الاستعلاءِ التي يُطِلُّ بها وريثُ رعاةِ البقرِ ، من بيتِهِمُ الأَبْيَضِ طِلاءً ، والأسودِ أَفكاراً ! .

يا ثابتُ . .

لو أنكَ كنتَ ترى نظرةَ الحقدِ ، والكراهيةِ ، تنبعُ من عَيْنَيْ سليلِ القردةِ والخنازيرِ ، المدنِّسِ للقدسِ الأسيرةِ ! . .

يا ثابتُ . .

لو أنك كنتَ ترَى نظرةَ الحزنِ ، والتحدي ، التي تصطبغُ بها عيونُ أطفالِ الحجارةِ ، ونظرةَ التصميمِ ، في عَيْنَيْ كلِّ شهيدٍ وشهيدةٍ ! . .

لو أنكَ يا ثابتُ . . لو أنكَ . . .
لما عُدْتَ تَسْأَلُ . . .
بلْ إنكَ ستزعُمُ ، كما أَزْعُمُ ، أنَّ نظرةً ما ، تستطيعُ اختزالَ الدنيا . .
أليستْ هناكَ العيونُ ذواتُ النظراتِ اللطيفهْ ؟! . .
والعيونُ ذواتُ الشزراتِ المخيفهْ ؟!
العيونُ التي تحدقُ . . والعيون التي تحقُ
العيونُ التي تأمرُ . . والعيون التي تأسرُ
العيونُ التي تُفْصِحُ . . والعيونُ التي تَفْضَحُ
العيونُ الآخذهْ . . وذواتُ النظراتِ النافذهْ
العيون الدقيقهْ . . وذواتُ الأسرارِ العميقهْ
العيونُ التي تتحدثُ . . والعيونُ التي تتخابثُ
العيونُ النائمهْ، والحالمهْ . . الساهرةُ، والساخرةُ
العيون الحارسةُ ، والمتجسسةُ ، والمتوجسةُ

العيونُ الحزينةُ . . والعيونُ ذواتُ النوايا الدفينةِ
العيـونُ البـريئـةُ . . وذواتُ النظـراتِ الجـريئـةِ
العيــون التــي تَنْظــرُ فَتَعْــذِرُ . .
والعيــونُ التــي تُحَقِّــرُ فَتُنْــذِرُ . .
العيــونُ التــي تَحْمَــدُ فَتُعَمِّــرُ . .
والعيـونُ التـي تَحْسُـدُ فَتُـدَمِّـرُ . .

أليسَ هذا من بديعِ المُكَوِّنِ سبحانَه وتعالى القائلِ في محكمِ كتابِه العزيزِ :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف ١٧٩] .

أليستْ هذه دعوةً صريحةً لاستخدامِ عيونِنا لقراءةِ كتابِ اللهِ المفتوحِ في الكونِ واستخراجِ سننِ اللهِ جلَّ شأنُه في الأشياءِ ؟! . .

قالَ أبو البقاءِ الهُذَليُّ :
قالَ ثابتٌ المسمى « تَأَبَّطَ خَيْراً » :

أَلَمْ أقلْ لكمْ إنَّ أبا الفرجِ يتحدثُ مثلَ نَبيٍّ ؟! . .

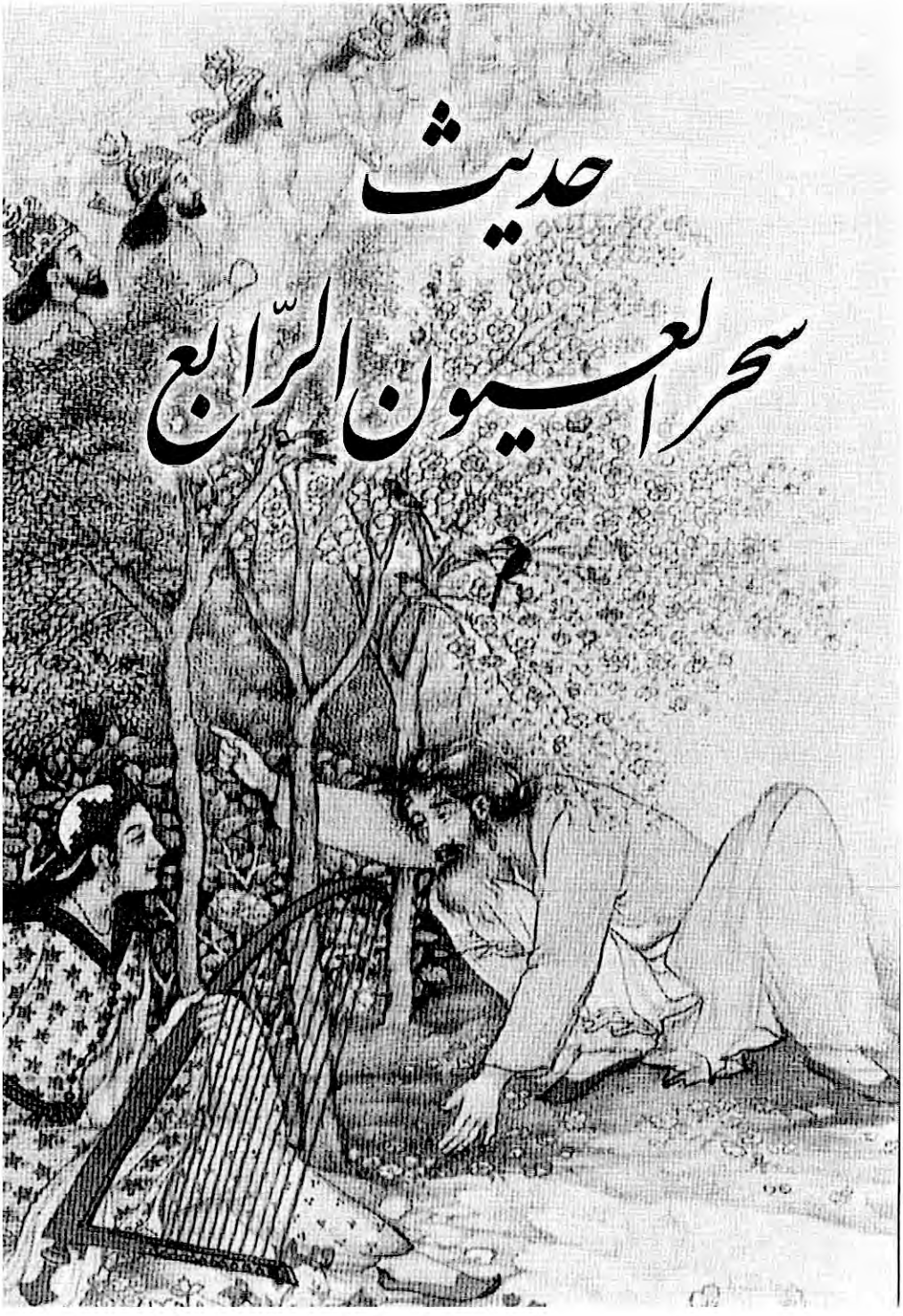
حديث
سحر العيون الرابع

حديث سحر العيون الرابع

حَدَّثَ أبو البقاء الهُذَليُّ قالَ :

حَدَّثَ « تَأَبَّطَ خَيْراً » قالَ :

وفي الليلةِ الأخيرةِ من سُرانا قلتُ :

يا أبا الفرجِ . . وكيفَ سحرُ العيونِ على أهلِ الصنعَةِ والأَدبِ ؟! .

فقالَ :

إنَّ الكُتَّابَ والشعراءَ ، قد فَتَنَتْهُم العيونُ التي تَشِيْ بتعابيرِ الرضا ، أو النفورِ . . الحبِّ ، أو البغضاءِ . . السعادةِ ، أو الشقاءِ . . الدعوةِ أو الصدِّ . .

ألا ترى معي أن الإنسانَ إذا عجزَ عن التعبيرِ باللسانِ أطلقَ لعينيهِ العِنانَ ؟! . .

ألم يقل الشاعرُ :

وَتَعَطَّلَتْ لُغَةُ الكَلامِ وَخَاطَبَتْ
عَيْنَـيَّ فـي لُغَـةِ الهـوى عَيْنـاكِ

فالعينُ مرآةٌ لكلِّ النوازعِ ، والخفقاتِ ، التي تعتملُ في النفسِ من ألمٍ ، وأملٍ . . من يأسٍ ، ورجاءٍ . . من خوفٍ ، وطمعٍ . .

استمعْ إلى عمرَ بن أبي ربيعةَ يبينُ هذا المعنى :

أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خيفَةَ أَهْلِها
إشــارَةَ مَحْــزونٍ ، وَلَــمْ تَتكَلَّــمِ

فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قالَ مَرْحَباً
وأَهْـلاً وَسَهْـلاً بـالحَبيـبِ المُتَيَّـمِ

ويقولُ آخرُ :

يَقُولُ قَلْبِي لِطَرْفي إذ بَكَى جَزَعاً :
تَبْكي وأَنتَ الذي حَمَّلْتَني الوَجَعَا

فَقَـالَ طَـرْفـي لَـهُ فيمـا يُعَـاتِبُـهُ
بَلْ أنتَ حَمَّلْتَني الآمالَ والطَّمَعَا

حتـــى إذا مـــا خَـــلاَ كـــلٌّ بِصَـــاحِبِـــهِ
كِـــلاهُمـــا بِطَـــويـــلِ السُّقْـــم قَـــدْ قَنِعَـــا

نـــادَتْهمـــا كَبِـــدي : لا تَعْتِبَـــا فَلَقَـــدْ
قَطَّعْتُمـــانـــي بمـــا لاقَيْتُمـــا قِطَعَـــا

وما أحسنَ قولَ الآخرِ :

عـاتَبْتُ قَلْبِيَ لَمَّـا رَأَيْتُ جسمي نَحيلا
فَعَاتَبَ القَلْبُ طَرْفي ، وَقَالَ كُنْتَ الدَّليلا
فَقالَ طَرْفي لِقَلْبي : بَلْ أَنتَ كُنْتَ الرَّسُولا
فَقُلْتُ : كُفّـا جَميعـاً تَـرَكْتُمـانـي قَتِيلا

وعودٌ على بدءٍ ، دونَ تعصبٍ أوْ تحيزٍ لهذه اللغةِ الجميلةِ ، ولو أنَّ كلامَ اللهِ هوَ الفيصلُ حينَ قالَ عزَّ مِنْ قائلٍ :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف ٢]

ودونَ تَعَصُّبٍ لأمةٍ شهدَ اللهُ لها حينَ قالَ :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران ١١٠]

وكفى باللهِ شهيداً . .

لا تحيزاً للغةِ ، ولا تعصباً لأمةٍ ، ولكنه تبيانٌ للحقيقةِ ، عن الكيفِ الآسرِ لهذه اللغةِ ، الذي يأخذكَ إلى عالمِ الدهشةِ ، وأَنْ لا لغةَ ترقى إلى ما رقتْ إليهِ لغتُنا العربيةُ في هذا ! . .

قال « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ :

يا أبا الفرجِ . . هلاّ زِدْتني بما تَتَمَثَّلُهُ من أقوالٍ وأشعارٍ ؟! . وأنتَ لا تَعْدَمُها إنْ شِئْتَ ! . .

قالَ أبو الفرجِ :

اسمعْ إلى أديبٍ من الرّومِ اسمُهُ « جاسي ماري » يقول :

« نَظْرَةُ الحبِّ هيَ النظرةُ الطويلةُ الصامتةُ التي ترسِلُها امرأةٌ تعرفُ كيفَ تجعلُ في عينيها قوةَ التأثيرِ ، وتُسددُ سهامَ نظرتِها الحادةِ ، في هدوءٍ ورباطةِ جأشٍ فتصيبُ القلوبَ في أعماقِها »

واستمعْ إلى صالحِ الأصيلِ يقولُ :

يا أَنْتِ قاتِلَتي وأنتِ لي حَكَمٌ
كيفَ الوصولُ إلى عَدْلٍ ولا سُبُلُ

فجاوَبَتْني بِطَرْفٍ بالهوى ثَمِلٍ :
ما أنتَ آخرُ مقتولٍ ولي مُقَلُ

د . جاسي ماري يقولُ :

« نظراتُ العيونِ هي لغةُ الأرواحِ ، ولغةُ الحبِّ التي لا يَفْهَمُها أحدٌ غيرُ الذي وجهتْ إليهِ » .

ود . صالح الأصيل يقولُ :

عَيْناكِ تَبْذُرُ بي حَقْلاً من اللَّهَبِ
حَوْراءُ تَغْزِلُني لَحْناً من الطَّرَبِ

تَعَثَّرَ الليلُ في أهْدابها . . فَكَبَا
كَذَائِبِ المِسْكِ عندَ اللَّحْظِ مُنْسَكِبِ

عَيْنَاكِ أغنيةٌ قَدْ زَانَهَا خَفَرٌ
حلوُ المعَاني شبيهُ الصادِحِ العَذِبِ

لِرَفَّةِ الهُدْبِ تاريخٌ يُحَدِّثُني
عنْ ألفِ عاتٍ وعندَ اللحظِ مُحْتَسَبِ

واسمع إلى دي لانكلوس يقولُ :
« النظراتُ أولى رسائلِ الحبِّ »

واستمعْ إلى أحمد شوقي يقولُ :

نَظْـرةٌ فـابتسـامَـةٌ فَسَـلامٌ
فَكَـلامٌ فَمـوْعـدٌ فَلِقـاءُ
لقـاءٌ يكـون فيـه شِفـاءٌ
ولقـاءٌ يكـونُ فيـهِ الـدَّاءُ

وحكيمهم يقولُ :

« الحـبُّ نظـرةٌ تتبعُهـا حسْـرةٌ »

وأمُّ كلثومٍ تغني :

نَظْـرَهْ وكُنْـتَ احْسِبْهـا سَـلاَمْ
وتْمُـــرِّ أَوَامْ
أَتاري فيها وُعودْ ، وعْهودْ
وُعـودْ ، لا تُصْـدُهْ ولا تِنْطـالْ

واللورد افبري يقولُ :

« الحبُّ الذي يتأصلُ في مجامعِ القلوبِ توحيهِ نظرةٌ »

وأغانينا تقول :

« أَصْـلِ الغـرامْ دَهْ مْنيـنْ
مِ اللحــظِ والــلاّ قَلْــبْ

همَّــا السبــبْ الاثْنيــنْ
دَه شــافْ وَدَهْ حَــبْ »

وتابعَ أبو الفرجِ :

وأزعمُ أنني لم أسمعْ أهلَ لغةٍ إذا أخذهُم الطربُ أمضوا نصفَ ليلهم ينادونَ : يا ليلْ . . يا عينْ . . غيرَ العربِ .

يا ثابتُ . .

لوْ لمْ نصلْ إلى الرَّبْعِ لأَمْتَعْتُكَ بحديثٍ عن كلِّ جزءٍ من العينِ . .

قالَ « تَأَبَّطَ خَيْراً » :

إذاً فَسَتُخبرُني عندَما نَسْمُرُ . . ولكنكَ تقولُ أشياءَ وأسماءً لا أَعْرِفُهَا ! .

قال أبو الفرجِ :

فلا تسأَلْني عن شيءٍ حتى أُحْدِثَ لكَ منه ذِكرا . . . ولكني أَسْتَبِقُ الحديثَ بقولةٍ عن « أحمد شوقي » ، ذاكَ شاعرٌ يأتي بعدَ ألفٍ ونيفٍ من السنينَ ، يُتَوِّجُهُ أصحابُ زمانِه أميراً لشعرائِهم ، مَدْرَسَةٌ وَحْدَهُ . .

قال « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ :

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف ٦٩]

وحدثت نفسي :

« كيفَ يتأتى لأبي الفرجِ إدراجُ كلامِ اللهِ سبحانه وتعالى في حديثهِ بهذهِ السلاسةِ ؟! . .

صدقَ رسولُ الله ﷺ حين قالَ :

« وإنَّ منَ البيانِ لَسِحْرا »

حديث الدّمع الأوّل

الأسماء

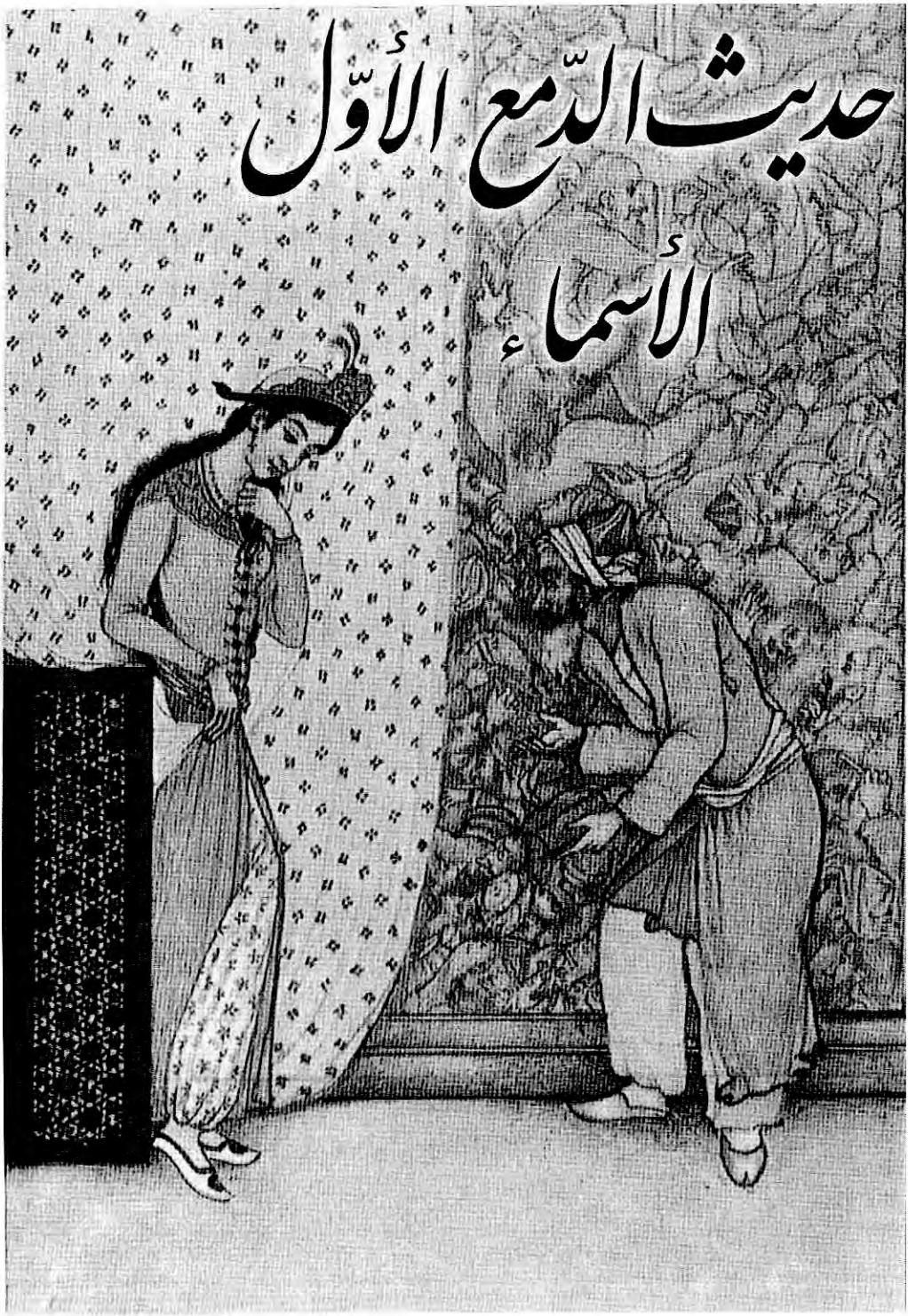

حديث الدمع الأوّل

حدَّث أبو البقَاءِ الهُذَليُّ قالَ :

أخبرنا « تَأَبَّطَ خَيْراً » أنه التَمَسَ أَبا الفرجِ بعدَ وصولهم إلى الربعِ عِدّةَ ليالٍ ، حتى ظَفِرَ به يُسَرِّحُ بصرَهُ في المساءِ الساجي على أطلالِ أهلِ « واحةَ » ودمعتان تترقرقان في عينيهِ فقالَ له :

يا ثابتُ ، إن للدمعِ أسماءً ، وأفعالاً ، وأزماناً وأمكنةً ، وإشاراتٍ ، وبياناً . . .

قال « تَأَبَّطَ خَيْراً » :
فما هيَ أسماؤُه يا أبا الفرج ؟! . .

قالَ أبو الفرج :
منه دموعُ المحبينَ والعشّاقِ

كما يقولُ الشريفُ الرضيُّ :
يا ظَبْيَةَ البانِ تَرْعىٰ في خَمَائِلِهِ
لِيَهْنَكِ اليومَ أَنَّ القلبَ مَرْعاكِ

المـاءُ عِنْـدَكِ مَبْـذولٌ لشـارِبِـهِ
وَلَيْسَ يَرْويكِ إلا مَدْمَعي الباكِيْ

ومنه دموعُ السرورِ والأفراحِ

كما حَدَثَ معَ مَلِكَةٍ من ملكاتِ الانكليزِ تُدعى « فيكتوريا » في حفلِ تتويجها ، فحينما وضَعُوا التاجَ على رأسِها انهمرتْ دموعُها غبطةً وسروراً .

ومنه دموعُ الأحزانِ والأتراحِ

استمعْ إلى قولهِ سبحانَه وتعالى في سورةِ التوبةِ :

﴿ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [٩٢] .

ومنه دموعُ البُشرى والرَّجاءِ

كما قالَ سبحانه وتعالى في سورةِ المائدةِ :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [٨٣] .

ومنه دموعُ الخوفِ والرهبةِ

قالَ رسولُ الله ﷺ حينَ عدَّد السبعةَ الذين يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظِلُّهُ :

« ورجلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ففاضتْ عيناهُ »

ومنه دموعُ العطفِ والشفقةِ الصادقةِ

ألم تدمعْ عينا رسولِ اللهِ ﷺ عطفاً وشفقةً على ٱبنهِ إبراهيمَ وهو يجودُ بالروحِ ؟! .

ومنه دموعُ البؤسِ والشَّقَاءِ

قال عزَّ مِنْ قائلٍ :

﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ .

[التوبة ٨٢]

ومنه دموعُ الإخفاقِ والخيبةِ

ألمْ يَتَنَاهَ إلى علمِكَ أنَّ « هانيبال » بطلَ « قرطاجنة » حينما رأى شقيقَه مقتولاً وجيشَه مهزوماً بكى وقال : « الآنَ . . سادتْ روما » .

ومنه دموعُ المرائينَ والمنافقينَ الكاذبةُ

ألم يأتِ أبناءُ يعقوبَ أباهُمْ عِشاءً يبكون ؟!

ومنه دموعُ الأبرياءِ المظلومينَ

وكفاها حِفْظاً أنَّ الله يَعُدُّهَا !! .

ومنه دموعُ الخشوعِ

قال سبحانه في سورة الإسراء :

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [١٠٩] .

ومنه دموعُ الأَلَمِ

كما قال الشاعرُ :

قِفْ مَشوقاً أو مُسعداً أو حَزينا
أوْ معيناً أو عاذراً أو عَذولا

عَلَّ ماءَ الدموعِ يُخْمِدُ ناراً
من جَوى الحبِّ أو يَبُلُّ غَليلا

ومنه دموعُ الفراقِ

فالشاعرُ يقولُ :

وَأَرْسَلَتْ من خِلالِ السَّجْفِ ناظِرَهَا
تَرنو إليَّ ودمعُ العينِ يَنْهَمِلُ

قَدْ وَدَّعَتْ بِبَنَانٍ زانَهُ عَلَمٌ
نادَيْتُ لا حَمَلَتْ رِجْلاكَ يا جَمَلُ

ومنه دموعُ الاغترابِ
أَلَمْ يَقُلْ صالحُ الأصيلُ :

يَبْكـي إذَا اللَيْـلُ أَهْـدَى للجَـوَى ذِكَـرَاً
سَلْـوَى الغَـرِيـبِ بِليـلٍ دَمْعُـهُ هَطِـلُ

ومنه دمعُ الرثاءِ والفقدِ
استمعْ إليه يقولُ :

أَبْكيكَ أبي يا عنوانَ الحبْ
أبكيـكَ أبـي دَمْـعَ القلـبْ
أبكيـكَ أبـي نصـفَ العمـرْ
والنصـفَ الآخـرَ أبكيـكْ

ومنه دموعُ الإخلاصِ
كما يقولُ مجنونُ ليلى :

بَكَتْ عينيَ اليُسرى فلما زَجَرْتُها
عَنِ الجَهْلِ بَعْدَ الحُلْمِ أَسْبَلَتا مَعَا

وأَذْكُرُ أَيَّامَ الحِمَى ثُمَّ أَنْثَني
على كَبِدي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

فَلَيْسَتْ عَشِّياتِ الحِمى بِرَواجِعٍ
إليكَ ولكنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا

ثُمَّ تَمْتَمَ بينه وبينَ نَفْسِهِ :
وعُيونٍ كَمْ بَكَتْ ، حَتَّى لَقَدْ ذَابَتْ نَحيبا

حديث الدّمع الثاني

الأفعال

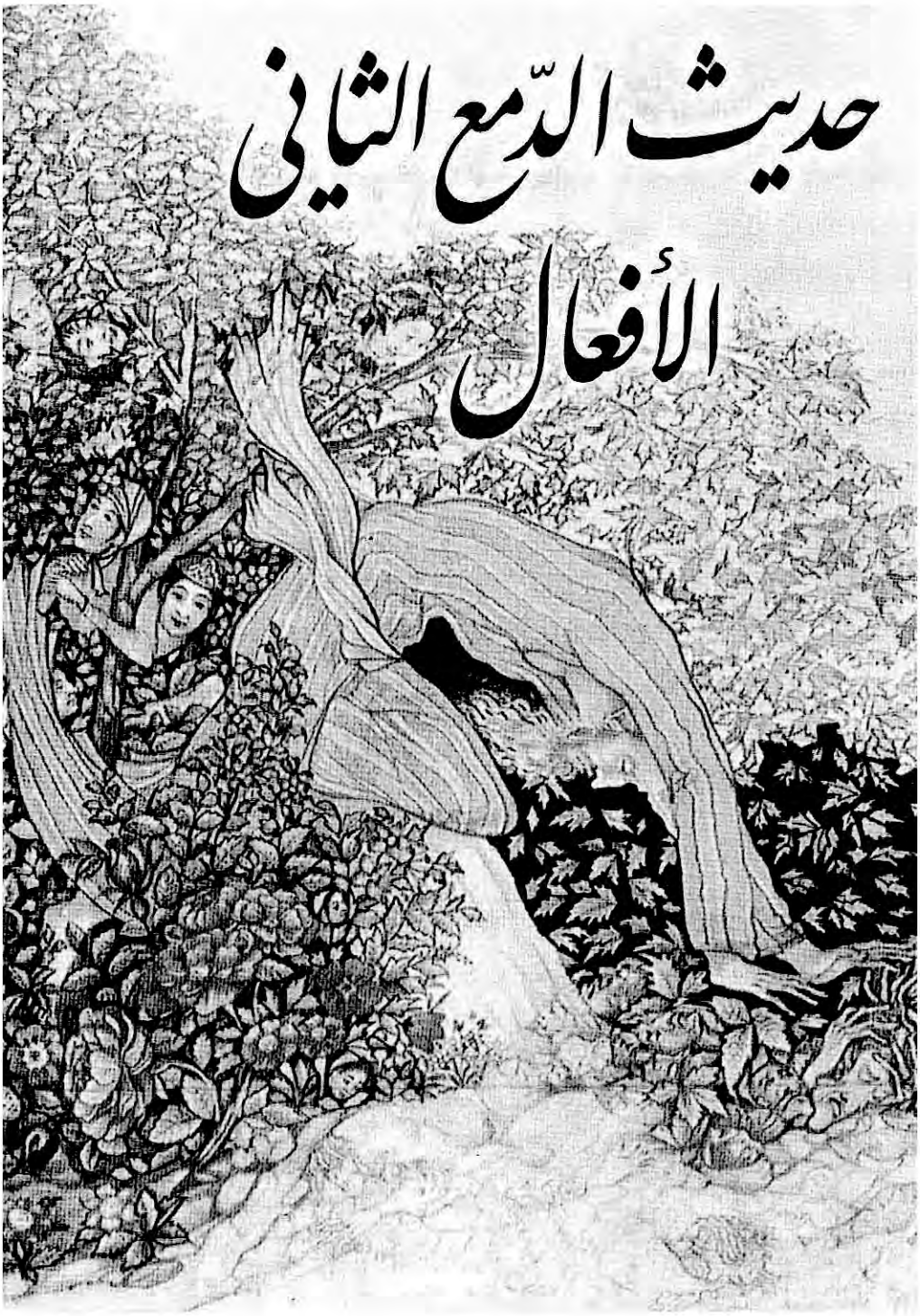

حديث الدمع الثاني

حَدَّثَنَا « تَأَبَّطَ خَيْراً » فقالَ :

كُنّا جُلُوساً حولَ نارِ سَمَرٍ في لَيْلَةٍ رَقَّتْ نَسَائِمُهَا حتّى لَكَأَنَّها الرَوْحُ ، فقلتُ : يا أبا الفرجِ ، أخبرتنا أنَّ للدمعِ أسماءً وبياناتٍ وإشاراتٍ ، عدَّدْتَها فَأَوْفَيْتَ ، وقُلْتَ : إنَّ لهُ أفعالاً ، فما هي يا أبا الفرجِ ؟ .

قالَ أبو الفرجِ : نَعَمْ ، إنَّ للدمعِ أَفْعالاً :

فهو :

يَنْهَمِلُ :

إذا سالَ مع نواحي العينِ كلِّها

ويَذْرِفُ :

إذا قَطَرَ بِضَعْفٍ

ويَسُحُّ :

إذا اشتدَّ

ويَسْفَحُ :

إذا بَلَغَ أشدَّه

ويَسْفِكُ :

إذا انصبَّ انصبابا

ويَرْفَضُّ :

إذا سالَ سيلاناً متقطعاً

ويَرُذُّ :

إذا قَطَرَ قَطْراً مُتتابعاً

ويَرُشُّ :

إذا قَطَرَ قَطْراً متتابعاً كثيراً .

ويَنْهَلُّ :

إذا قَطَرَ قطراً شديداً .

أما الوَكيفُ :

فهو قَطْرُ الدمعِ قَطْراً ليسَ بالشديدِ .

وأما العَبْرَةُ :

فهيَ تَرَدُّدُ البكاءِ في الصدرِ

ويقالُ :

جَادَتِ العينُ :

إذا انهمرَ دمعُها .

وخَضِلَتْ :

إذا سالتْ بالدمعِ .

وَتَرَقْرَقَتْ :

إذا تَرَدَّدَ الدمعُ فيها ولم يَفِضْ .

واغْرَوْرَقَتْ :

إذا امتلأتْ بالدمعِ .

وغَسَقَتْ :

إذا صَبَّت الدمعَ .

وَرَقَأَ الدمعُ :

إذا جَفَّ .

وَجَمَدَت العينُ :

عكسُ جادت العينُ ؛ ألم تَقُل الخنساءُ :

أَعَيْنِيَّ جودا ولا تجمدا

أَلاَ تَبْكيانِ لِصَخْرِ النَّدى

كما يقال : نَضَخَت العينُ :

إذا فارتْ بالدمعِ .

كما يقال : النَّكَفُ :
عن تنحِيَتِكَ الدمعَ عن خدِّكَ .

وهناكَ أفعالٌ للدمعِ تَرَكَ الناسُ استخدامَها فَتَوَحَّشَتْ ولستُ بذاكِرها .
قال « تَأَبَّطَ خَيراً » فقلتُ :
هَلاَّ مَثَّلْتَ لِذلِكَ يا أبا الفرجِ ؟ .

قالَ :
مثل « التَحاتُن » و« الثَّعْجَرَةُ » و« العَسْقَفَةُ »
قال « تَأَبَّطَ خَيْراً » :
للهِ دَرُّكَ يا أبا الفرجِ ، ما جانَبْتَ الصوابَ .

يقول حمّادُ الراويةُ :

ذكرَ ليَ الأصمعيُّ أنَّ أبا الفرجِ لديه درايةٌ بمأنوسِ القولِ وغريبهِ ، ودوماً يأتيكَ بالعجيبِ الممتعِ . .

وهذا هوَ أبو الفرجِ إذا حَدَّثَ .

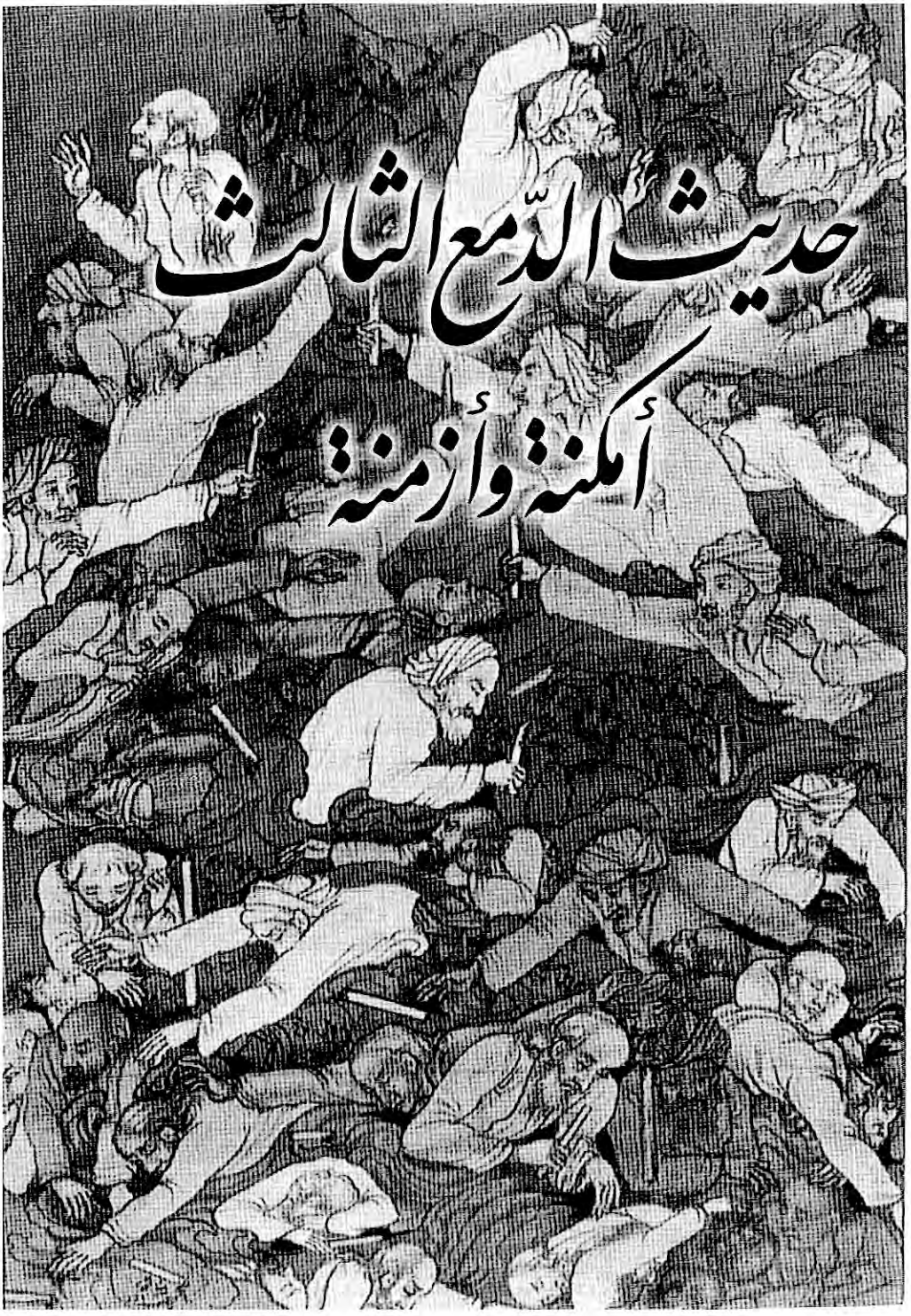
حديث الدمع الثالث
أمكنة وأزمنة

حديث الرجع الثالث

حدَّثَ أبو المعالي الكِنْدِيُّ قالَ :

سَمِعْتُ « تَأَبَّطَ خَيْراً » يقولُ :

التمستُ أبا الفرجِ فوجدتُهُ مرةً أُخرى يَقِفُ على أطلالِ « واحةَ » فقلتُ :

يا أبا الفرجِ هلاّ رحمتَ نفسكَ ؟! .

فقالَ :

يا ثابتُ . . ذكرى « واحةَ » لا تغيبُ . .

يا ثابتُ . . أما سَأَلتني عن أمكنةِ وأزمنةِ الدمعِ ؟! . .

قلتُ : بلى

قالَ :

فاعلمْ أنَّ للدمعِ أماكنَ ، أطلالُ الحبيبِ أَحَدُها

أما سَمِعْتَ امرَأَ القيسِ يقولُ :

قِفا نَبْكِ مِنْ ذكرى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ

بِسِقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

يا ثابتُ . . هذا امرؤُ القيسِ يبكي ويستبكي عندَ أماكنِ الحبيبِ . .

يا ثابتُ . . فكيفَ أنتَ إذا وقفتَ أمامَ قبرِ سيدِ الخلقِ أجمعينَ ، حبيبِ اللهِ والملائكةِ ، والثَّقَلينِ . . أتملِكُ عندَها دمعَكَ ؟! . .

والرسولُ عليه صلواتُ ربي وسلامُه ألمْ يقلْ لعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ الله عنهُ وأشارَ إلى الملتَزَمِ :

« هنا تُسْكَبُ العَبَراتُ يا عُمَرُ »

والشاعِرُ المفجوعُ بزوجهِ يقولُ :

لَـولا الحيـاءُ لَعَـادَنـي اسْتِعْبـارُ
وَلَـزُرْتُ قَبـرَكِ والحبيـبُ يُـزارُ

وصالحُ الأصيلُ أَلمْ يَقلْ مخاطباً أخاه :

أَرْسِـلْ عَبَـراتِـكَ أيْـدِيَ مُلْتـاعَـهْ
نحـــوَ الآفـــاقِ الشَّـــرْقِيَّـــهْ
واجْمَعْ دمعَ اللوعةِ كَيْ تَتَوَضَّأْ .
في البُكْمالِ هناكْ سَتَرْقُدُ أُمُّكَ ،

بَيْنَ النَّخْلاتِ ،
وعندَ الفَجْرِ ستنمو نحوَ اللهِ دُعَاءً يَعْرُجْ .
فاجمعْ دَمْعَ اللَّوعَةِ كيْ تَتَوَضَّأْ
فهناكَ أُوَيْسُ القرنيُّ يُفَتِّشُ عَنْ دَمْعِ العِشْقِ ،
وَمَنْ كانَ لَهُ دمعٌ عندَ الفَجْرِ سَيَعْرُجْ

وإنْ شئتَ يا ثابتُ فابكِ عندَ بيتِ المقدسِ ، بلْ وابكِ عندَ كلِّ طَلَلٍ في الأَندلُسِ . .

قالَ « تَأَبَّطَ خَيْراً » : قلتُ :

وما الأَنْدَلسُ ؟! . .

قالَ أبو الفرجِ :

سأُخْبرُكَ عنْ كلِّ ما لَمْ تَعْلَمْ ، فَقَدْ نَفِدَ صَبْرُكَ .

أمّا الأَندلسُ فهي بلادٌ يفتحُها اللهُ على المسلمينَ فيقيمونَ فيها دولةً باذخةً ، ثمّ يُضَيِّعونَها شِبْراً فشبراً فلا السماءُ تبكي عليهم ولا الأرضُ ولكننا نحنُ مَنْ سيَبْكي ؛

وأما ما ذكرتُ لك من شعراءَ وحكماءَ من الرومِ فسيأتونَ في قابلِ الأيامِ أيضاً ،

وأما صالحُ الأصيلُ فهو طبيبٌ كحّالٌ مثلي يُولَدُ في القرنِ الرابعَ عَشَرَ الهجريِّ ، وتربطني به وشائجُ تستعصي على الشرحِ . . التقيتهُ في أماكنَ وأزمنةٍ مختلفةٍ ، ولقدْ سألتُ عنه بعضَ معاصريه فقالَ لي **حسنُ بن حميدٍ** الكاتبُ :

« إنّه أديبٌ ، له قلمٌ جادٌ ، وأسلوبٌ نابضٌ ، وصياغةٌ باهرةٌ ، وروحٌ أدبيةٌ قلما نقعُ عليها في هذا القرنِ الخامسَ عشرَ الهجريِّ » .

كما أنني سألتُ عنهُ الشاعرَ « د . وليد مشوح » فقالَ :

« في شعرهِ نفسٌ إسلاميٌ ، وفي توجّهِهِ أُوارٌ عربيٌّ ، وفي ذاتِهِ روحٌ شاعرةٌ ، ربما لمْ يصرفِ الوقتَ لإنمائِها ، وإنما عملَ مخلصاً على إشهارِها لتظلَّ نوافِذُ روحِهِ مفتوحةً على كونِه الخاصِّ ، وزمنِهِ المعيشِ العامِ . . إنه الطبيبُ الأديبُ محمدٌ صالحُ الأصيلُ » .

وقالَ عنه الباحثُ في التراثِ **أحمدُ المفتيُّ** :

« بوحُ وجدانٍ مُتَّقِدٍ في زمنٍ ضاعَ في الحبُّ »

أما الفيلسوفُ الوزيرُ **حافظُ الجماليُّ** فوصفَهُ بقولِه :

« لستُ أدري أهوَ طبيبٌ يقولُ الشِّعْرَ ، أم شاعِرٌ يَمْتَهِنُ الطِبَّ . . فمنْ أيِّ وجهٍ نظرتَ إليهِ خُيِّلَ إليكَ أنَّ هذا الوجهَ طاغٍ على الوجهِ الآخرِ » .

فذاكَ تأويلُ ما جهلتَ منْ أشياءَ أذكرُها ، فأنا يا ثابتُ رَحَّالَةٌ في الزمانِ والمكانِ . . .

قال « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ :

يا أبا الفرجِ . . فما الأزمنةُ التي يخْتَصُّ بها الدمعُ ؟! .

قالَ :

يا ثابتُ . . أزمنةُ البكاءِ عديدةٌ ، فلحظةُ فراقِ حبيبٍ ، أو لحظةُ تذكرِ عاشقٍ ، أو لحظاتُ شعورٍ بالظلمِ ، أليستْ مَدعاةً لأن يفيضَ الدمعُ فيها ؟! . . .

واذكرْ يا ثابتُ مواقفَ لا تتكَرَّرُ كلحظةِ ضياعِ ملكٍ مثلاً . . أقولُ لك : سيبكي عبدُ الله الصغيرُ آخرُ ملوكِ بني الأحمر ، بل العربِ في الأندلسِ ، وهو يُسَلِّمُ مفاتيحَ غرناطةَ ، فتقولُ له أمهُ الحازِمَةُ :

« إبكِ كالنساءِ مُلكاً لمْ تُحافظْ عليهِ كالرجالِ » .

أمّا ليالي الغربةِ ؛ فسيذكُرُ الناسُ أَنَّ أَبَا فراسٍ الحمدانيَّ يقولُ في أسرِهِ :

إذا الليلُ أَضْواني بَسَطْتُ يَدَ الهوى
وأَذْلَلْتُ دَمْعاً من خَلائِقِهِ الكِبْرُ

وليالي رمضانَ يا ثابتُ ، وأوقاتُ السحرِ ، حينَ يعرجُ المستغفرونَ ، إلى الملكوتِ الأَعلى ، والناسُ نيامٌ . . يا ثابتُ . . من ذاقَ عَرفَ ! . .

اذهبْ في تاسعِ ذي الحجةِ من كلِّ عامٍ ، وقفْ أشعثَ ، أغبرَ ، يَلُفكَ طِمْرانِ ، قفْ في صعيدِ عرفاتٍ وستدركُ معنى أزمنةِ الدمعِ . .

قال « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ :

يا أبا الفرج . .
حينَ ألقاكَ ، وأَسمعُ حديثَكَ ، تصفو روحي ،
ويخفُّ جسمي ، فكأني من أثيرٍ أُصْبِحُ . . .

قالَ ومضى :
عَرَفْتَ فالزمْ .

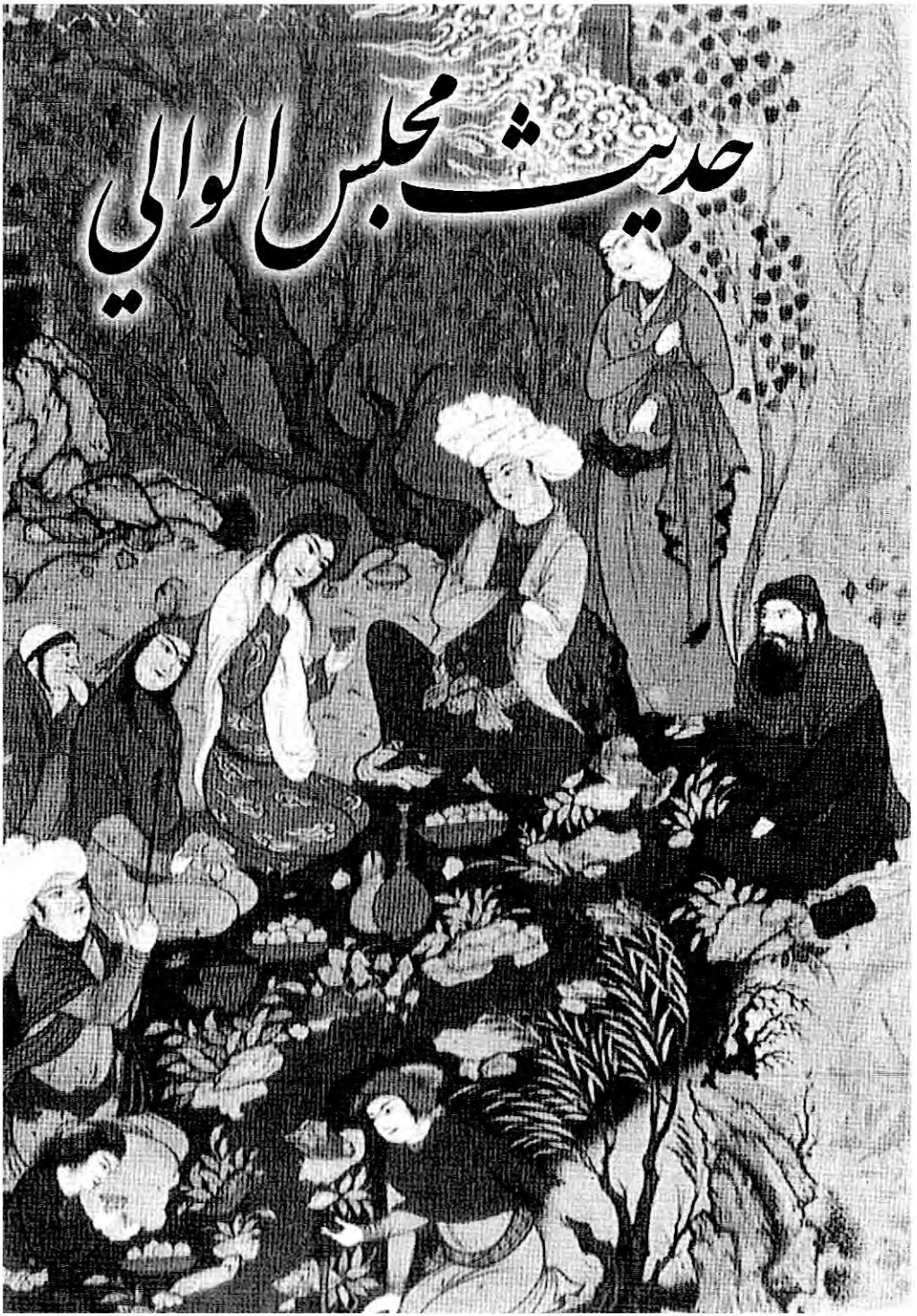
حدیث مجلس الوالی

حديث مجلس الوالي

حَدَّثَنا حمّادُ الراويةُ قالَ :
حَدَّثَنا الأصمَعِيُّ قالَ :

سمِعَ والي البصرةِ بسَعَة اطلاعِ أبي الفرجِ « الكَحَّالِ » على أمورِ العينِ طباً وأدباً ، فقالَ لحاشيتِه : التمسوهُ في المِرْبَدِ مِنْ قابل ، فلما كانَ المربدُ قالوا : إنّ الوالي ينتظرُ حضورَكَ مجلساً يناظِرُكَ فيه أهلُ علمٍ وأدبٍ . قال : أَفْعَلُ

إن شاءَ اللهُ . .

فلما استوى بالحضور المجلسُ قالَ الوالي :

يا أبا الفرجِ ، هذا رَهْطٌ من علماءِ وأدباءِ ووجوهِ وأعيانِ البصرةِ ، يريدون أن يسألوكَ وأحبُّ أن أسمعَ ما تجيبُ ، فلقدْ بَلَغَنَا سَعَةُ علمِكَ ، ولطافَةُ حديثكَ .

قال أبو الفرج :

باللهِ نستعينُ .

قال الوالي :

إنّ نظراتِ العيونِ هي لغةُ الأرواحِ ، فلتُسمعونا ما تقولونَ في النَظَرِ . . .

قال أولهم : فما تقولُ إذا نظرَ الإنسانُ إلى الشيءِ بمجامعِ عينيهِ ؟! .

قال أبو الفرجِ : رَمَقَهُ وأغلبُه نظرُ عداوةٍ .

قال الثاني : فإذا نظرَ إليه من جانبِ أذنِهِ ؟!

قال أبو الفرجِ : لَحَظَهُ وغالباً ما يكونُ نظرَ غضبان .

قال الثالثُ : فإذا نظرَ إليه بعجلةٍ ؟ .

قال أبو الفرج : لَمَحَهُ .

قال الرابعُ : قلتَ إنّ أغلبَ الرَّمْقِ نظرُ العداوةِ فإذا كانَ نظرُهُ كلُّهُ عداوةً ؟ . .

قال أبو الفرج : أقولُ شَزَرَهُ أو نظرَ إليهِ شَزْرَاً .

قال الخامسُ : فإذا رماهُ ببصَرِهِ مع حدَّةٍ ؟ .

قال أبو الفرجِ : حَدَجَهُ ، ألم تسمعْ ابن مسعودٍ (رض) يقولُ : « حدِّث القومَ ما حَدَجوكَ بِأَبْصارِهِمْ » .

قال السادسُ : فإنْ كانَ النظرُ بشدةٍ مع الحِدَّةِ ؟

قال أبو الفرجِ : أَرْشَقَهُ ويقال أَسَفَّ إليهِ وفي حديثِ الشعبي « أنهُ كَرِهَ أنْ يُسِفَّ الرجلُ إلى أمِّهِ وأختهِ وبنتهِ » .

قال السابعُ : فإن نظرَ إليه نَظَرَ الكارِهِ المُبْغِضِ ؟ .

قال أبو الفرجِ : شَفَنَهُ وغالباً ما يكونُ بمؤخرِ العينِ .

قال الثامنُ : فإنْ كانَ بالمَحَبَّةِ ؟ .

قال أبو الفرجِ : نظرَ إليه نِظْرَةَ ذي عَلَقٍ .

قال التاسعُ : فإن نظرَ إلى الشيءِ كاللمحةِ ثمَّ خفيَ عنهُ ؟ .

قالَ أبو الفرجِ : لاَحَهُ .

ألمْ تسمعْ الشاعرَ يقولُ :

وَهَلْ تَنْفَعُني لَوْحةٌ لَوْ أَلُوحُها

قال الأولْ : فإنْ نَظَرَ إليهِ نظرةَ المُسْتَثْبِتِ ؟

قال أبو الفرجِ : تَوَضَّحَهُ .

قال الثاني : فإنْ نَظَرَ في كتابٍ أوْ حِسابٍ ؟

قال أبو الفرجِ : تَصَفَّحَهُ .

كذلكَ يقال : اجتلاهُ .

سَرَّحَ فيه نَظَرَهُ

قَلَّبَ فيهِ طَرْفَهُ

حَقَّقَ النظرَ إليهِ

تَفَرَّسَهُ

عَجَمَهُ بِعَيْنِهِ

دَقَّقَ فيهِ النَّظَرَ

قال الثالثُ : فإنْ نَظَرَ إلى جميعِ المكانِ ؟

قال أبو الفرجِ : نَفَضَهُ نَفْضاً .

قال الرابعُ : فإن فَتَح عَيْنَيْهِ لِشَدَّةِ النَظَرِ ؟

قال أبو الفرجِ : حدَّقَ .

قال الخامسُ : فإنْ لأْلأَهُمَا وَأَحَدَّ النظرَ ؟!

قال أبو الفرج : بَرَّقَ .

قال السادسُ : فإن غابَ سوادُ عينيهِ من الفَزَعِ ؟

قال أبو الفرجِ : ألمْ تسمعْ قولَ اللهِ تعالى :

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴾ ؟ [القيامة ٧]

قال السابعُ : فإن فَتَحَ عينيهِ وجَعَلَ لا يطرفُ ؟

قال أبو الفرجِ : ألمْ تسمعْ قوله عزَّ من قائلٍ :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم ٤٢] .

قال الثامنُ : فإنْ بالغَ في فَتْحِها وأحدَّ النَظَرَ عندَ الخوفِ ؟ . .

قال أبو الفرجِ : حَدَّجَ .

قال التاسعُ : فإنْ كَسَرَ عَيْنَه عندَ النَظرِ ؟

قال أبو الفرجِ : دَنْقَشَ وَطَرْفَشَ .

قال الأولُ : فإذا نظرَ إليكَ حتى ليخيلُ إليكَ أنَّ باطنَ جَفْنِهِ قَد انقلبَ ؟

قال أبو الفرج : حَمْلَقَ .

قال الثاني : فإذا نَظَرَ إليهِ نِظرةَ مُتَسَخِّطٍ ؟

قال أبو الفرجِ : اسمعْ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [ن ٥١] .

قال الثالثُ : فإذا أدامَ النظرَ إليهِ في سكونِ طرفٍ ؟

قال أبو الفرجِ : رَنا إليهِ .

قال الرابعُ : فإذا نَظَرَ إليهِ نظراً خفيفاً مرةً تلوَ المرةِ ؟

قال أبو الفرجِ : سارَقَهُ النَظَرَ وخالَسَهُ النَظَرَ .

قال الخامسُ : فإذا نظرَ القومُ بعضُهم إلى بعضٍ نظرَ عداوةٍ وبغضاءَ .

قال أبو الفرجُ : إنهم يتقارضونَ النَظَر

قال السادسُ : إذا رفعَ رأسَهُ ونَظَرَ .

قال أبو الفرج :اشتافَ وتَشَوَّفَ ، اسْتَشْرَفَ .

قال السابعُ : فإن نَشَرَ الرجلُ شيئاً يطلبُ عيباً فيهِ ؟

قال أبو الفرجِ :استَشَفَّهُ .

قال الثامنُ : إذا حرَّكَ الرجلُ جَفْنَيْهِ .

قال أبو الفرجِ :طَرَفَ .

قال التاسعُ : فإن طَرَفَ كثيراً وبِضَعْفٍ .

قال أبو الفرجِ :أَرْمَشَ بعينيهِ .

قال الأولُ : فإنْ حَرَّكَ حَدَقَتَيْهِ أو قَلَّبَها .

قال أبو الفرجِ :رَأْرَأَ .

قال الثاني : فإن ضيَّقَ جَفْنيه ليحددَ النَظَرَ .

قال أبو الفرجِ :تَخَازَرَ .

قال الثالثُ : إذا غَمَّضَ بصرهُ عند النظرِ إلى الشمسِ؟

قال أبو الفرج :خاوَصَ وتَخاوَصَ .

قال الرابعُ : وإنْ أَرْخى عَيْنَيْهِ ينظرُ إلى الأرضِ ؟

قال أبو الفرجِ :أَطْرَقَ .

قال الخامسُ : وإنْ خَفَضَهُ وكَفَّهُ ؟!

قال أبو الفرجِ : ألم تسمعْ قولَ اللهِ تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [النور ٣٠] .

قال السادسُ : فماذا يقالُ للرجلِ لا يُبْصِرُ بالليلِ ؟

قال أبو الفرجِ :عَشِيَ ،

قال السابعُ : فإن كانَ لا يُبْصِرُ بالشمْسِ ؟

قال أبو الفرجِ : جَهِرَ ، أما إذا بَسَطَ كَفَّهُ فوقَ حاجِبِهِ ليستظلَّ منها يقالُ :استكَفَّ .

قال الثامنُ : فإذا تَحَيَّرَ من شدةِ الحَرِّ فَلَمْ يُحسِنْ الإدراكَ ؟

قال أبو الفرج : سَدِرَ بَصَرُهُ .

قال التاسعُ : فإذا تَحَيَّرَ مِنْ خوفٍ ونحوِهِ ؟ .

قال أبو الفرجِ : زَاغَ بَصَرُهُ .

قال الأولُ : فإنْ اعتراهُ كلالٌ من طولِ مدىً ؟

قال أبو الفرجِ : حَسَرَ بَصَرُهُ .

وكَلَّ بَصَرُهُ

وأَعيا بَصَرُهُ

فهو كليلُ البَصَرِ ، وأسمعْ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ .

[الملك ٤]

قال الثاني : فإذا تَحَيَّر بصرُهُ من النظرِ إلى الثلجِ ؟

قال أبو الفرج : قَمِرَ الرَّجُلُ .

قال الثالثُ : فإذا صارَ يرى الشخصَ اثنين ؟

قال أبو الفرجِ : شُفِعَتْ لهُ الأَشْباحُ .

قال الرابعُ : فإذا تحَيَّرَ بصرُهُ من بَرْقٍ شَديدٍ ؟

قالَ أبو الفرجِ : ألم تسمعْ قولَ الله جلَّ شأنُهُ :

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور ٤٣] .

ويقال خُطِفَ بَصَرُهُ .

قال الخامس : فما تقولُ عن رجلٍ نافذِ البصرِ ؟

قال أبو الفرجِ : أقولُ حادُّ البَصَرِ وحَديدُهُ .

واسمعْ إليه سبحانه : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ : [ق ٢٢] .

قال السادسُ : فما تقولُ للرجلِ عَمِيَ ؟

قال أبو الفرجِ : أقولُ : ذَهَبَ بصرُهُ ، أظلَمَ بَصَرُهُ ، طُفِئَتْ عينه ، ابيضَتْ عينُه ، ذَهَبَ ضوءُ عينِه ، أذهبَ اللهُ كريمَتَيْهِ ، وكُفَّ بصرُهُ فهو كفيفٌ » .

قالَ السابعُ : فإذا كانَ أعمى خلقةً ؟

قالَ أبو الفرجِ : فهو أكْمَهُ ، ألم يكنْ عيسى عليه السلامُ يبرىءُ الأكمهَ بإذنِ اللهِ ؟ . .

قالَ الثامنُ : فما يقالُ للرجلِ غابتْ عينهُ في رأسِهِ ؟

قالَ أبو الفرجِ : غائرُ العينينِ أو خسيفُهُما .

قالَ التاسعُ : فإنْ بَرَزَتْ عيناهُ ؟!

قالَ أبو الفرجِ : أقولُ لكمْ سيأتي بعدَ عقودٍ من الزمنِ رجلٌ لسيسَ لديهِ أشهى من حضورِ مجلسنا هذا ، ينسى العالمُ اسمَهُ ولا يعرفونَهُ إلا بِلَقَبِهِ « الجاحظ » .

قال الوالي :

يا أبا الفرجِ ، لقد سألكَ القومُ خمسةً وأربعينَ سؤالاً عن النظرِ والإبصارِ ، وأريدُ أن أُكْمِلَها خمسينَ . .

فالأولُ قلْ لي يا أبا الفرجِ ما هو حرفُ العَيْنِ ؟!

قالَ أبو الفرجِ :

أطالَ الله عمرَ الوالي ، العينُ هو الحرفُ الثامنَ عَشَرَ من حروفِ الهجاءِ ، وهو مجهورٌ رخوٌ ، ومخرجُهُ من وسْطِ الحلقِ ، لا يخرجُ حرفٌ أبعد منه ، لذلكَ ابتدأَ به كثيرٌ من أهلِ صنعةِ الأدبِ واللغةِ مصنفاتِهم كما في أولِ معجمٍ يوضعُ في اللغةِ العربيةِ وأعني به كتابَ العينِ للخليلِ بن أحمدَ الفراهيدي .

قال الوالي :

سؤاليَ الثاني يا أبا الفرجِ عن معاني لفظِ العينِ ؟

قال أبو الفرجِ :

مَتَّعَ اللهُ الواليَ بالعافيةِ ، فلهذا اللفظِ معانٍ كثيرةٌ متعددةٌ منها : ينبوعُ الماءِ ، وأهلُ البلدِ ، ورئيسُ الجيشِ ، وكبيرُ القومِ ، وشريفُهم ، وما ضُرِبَ نقداً من الدنانيرِ ، والحاضرُ من كلِّ شيءٍ ، والنفيسُ من كل شيءٍ ، والجاسوسُ ، ومن السحابِ ما أقبلَ ، والذهبُ ، وحقيقةُ الشيءِ . .

وهي عضوُ الإبصارِ للإنسانِ وغيرهِ من الحيوانِ ، وجمعها : عُيُونٌ ، وأَعْيانٌ ، وأَعْيُنٌ . . وجمعُ الجمعِ : (أَعْيُناتٌ) .

قال الوالي :

سؤاليَ الثالثُ يا أبا الفرجِ عن صفاتِ العينِ المستحسنةِ ؟! . .

قال أبو الفرجِ :

أصلحَ اللهُ الواليَ ، فإن للعيونِ صفاتٍ مستحسنةً منها :

البَرَجُ : وهو سَعَةُ العينِ ، ونقاءُ بياضِها .

والحَوَرُ : شِدَّةُ بياضِ بياضِها ، وشِدَّةُ سوادِ سوادِها .

والدَعَجُ : شِدَّةُ سوادِ العينِ مع سَعَتِه .

والنَجَلُ : شِدَّةُ سَعَةِ العينِ .

ولا أَنْسىٰ أيها الوالي العينَ الكحلاءَ التي قالَ فيها الشاعرُ :

كَحْلاءُ في بَرَجٍ صَفْرَاءُ في دَعَجٍ
كَـأَنَّهـا فِضَّـةٌ قَـدْ مَسَّهـا ذَهَـبُ

قال الوالي :

فسؤاليَ الرابعُ عن أجزاءِ العينِ الظاهرةِ .

قالَ أبو الفرجِ :

مَتَّعَ اللهُ الواليَ بناظريهِ اللذينِ يتألفُ كلٌّ منهما مِنْ أجزاءٍ : **المُقْلَةُ** : وهي الشحمةُ التي تجمعُ السوادَ والبياضَ ، وقدْ قالَ شاعرٌ يصفُها :

لَهَا عَيْنٌ لَهَا غَزَلٌ قتولٌ
مُكَحَّلَةٌ ولي عينٌ تباكَتْ

وَحَاكَتْ في فَعَايلها المواضي
فيالَكِ مُقْلَةً غَزَلتْ وَحَاكَتْ

الحَدَقَةُ : وهي السوادُ الأعظمُ (ويسميها أهلُ الطبِّ القزحيةُ) وسميتْ بذلكَ لأنَّ البياضَ محدقٌ بها ، قال الشريفُ الرضيُّ وهو شاعرٌ من المستقبلِ :

يا قَلْبُ مالَكَ لا تفيقُ وَقَدْ رَأَتْ
عينــاكَ كيــفَ مصــارِعُ العُشَّــاقِ

فَتكَتْ بِكَ الحَدَقُ المِراضُ وَلَمْ تَزَلْ
تُشجـي القلـوبَ جِنـايَـةُ الأَحْـدَاقِ

الناظِرُ أَو الإِنْسانُ : وهو السوادُ الأَصْغَرُ وأهلُ صناعةِ الطبِّ يطلقونَ عليهِ الحَدَقَةَ أو البُؤْبُؤَ ألمْ يقلْ الشاعرُ : إِنَّ العيونَ التي في طرفِها حَوَرٌ ، تقتلُ وهي أضعفُ خلقِ اللهِ إِنسانا ؟ .

اللَّحْظُ : وهوَ طَرَفُ العينِ مما يلي الصدغَ والإشارةُ به تعني : النهيَ عن الأمرِ ، اسمعْ إلى الشاعرِ :

لَحَظْنــاهُــمُ حتــى كــأنَّ عيــونَنَــا
بهــا لَقْــوَةٌ مــن شــدَّةِ اللَّحَظــانِ

المُوقُ : طَرَفُ العينِ الذي يلي الأنفَ ، وبه مجرى الدمعِ الذي يُخْرِجُ الدمعَ من العينِ .

قال شاعرٌ عظيم اسمه المتنبي يأتي بعدَ ثلاثمئةٍ من السنينِ يمدحُ كافوراً الإخشيدي :

قَـواصِـدُ كـافـورٍ تَـوارِكُ غيـرِهِ
وَمَنْ وَرَدَ البحرَ استَقَلَّ السَّوَاقِيَا

فَجَـاءَتْ بِـه إنسـانُ عيـنِ زمـانِـهِ
وَخَلَّـتْ بيـاضـاً خَلْفهـا وَمَـآقِيَـا

الجَفْنُ : وهو غطاءُ المقلةِ من أَعلاها وأسفلِها ويجمعُ على أجفانٍ ، قال الشاعِرُ :

مَضَتِ الشَّبيبَةُ والحبيبَةُ فالتَقَىٰ
دمعـانِ فـي الأَجْفـانِ يَـزْدَحِمـانِ

الشُّفْرُ : وهو حرْفُ الجفنِ الذي ينبتُ عليه الشَّعْرُ ، قالَ جمال الدين بن نباتة القادمُ بعد ستةِ قرونٍ :

إذا كانَ شُفْرُ العَيْنِ فَوْقَ مَحَلِّها
فعندي أَنا الأَشْفارُ خيرٌ مِنَ العَيْنِ

الهُدْبُ : الشعرُ النابتُ على الأشفارِ ، واحدتُه هُدْبَةٌ ، والجمع أَهْدابٌ ، يقال عينٌ سَبْلاءُ إذا كانتْ طويلةَ الهُدْبِ .

قال الشاعرُ :

أهدابُ لحظِكِ للورى شَرَكٌ فَمَنْ
أَوْثَقْتِـــهِ فيهـــنَّ لا يَتَلَفَّـــتُ

الحِمْلاقُ : باطِنُ الجَفْنِ مِنْ بياضِ المُقْلَةِ ، لذلك يقالُ : حَمْلَقُ الرجلُ ، إذا فتحَ عينيه ونظرَ نظرا شديداً .

الحَجَاجُ : العظمُ المشرفُ على العينِ .

المِحْجَرُ : فجوةُ العينِ ، وهو ما بدا من البرقُعِ والنقابِ ، . . وقد سمي المِحْجَرُ مِحْجَراً لأنه مِفْعَلٌ من الحَجْرِ ، والحَجْرُ هو المنعُ ، فكأنه مانعٌ عن العينِ من جميع جِهاتِها .

قال الشاعِرُ :

إنّ العيونَ لَكَالحُصُونِ : فَهُدْبُها
شُرُفاتُها ، وجُفُونُها الأَسْوارُ

وكَذَا مَحَاجِرُها : الخَنَادِقُ حَوْلَها
والحـافِظـونَ بهـا هُـمُ الأَنْـوارُ

قال الوالي :

يا أبا الفرجِ . . ما كانَ نَظَرُنا إليكَ نظرَ مُنافَسَةٍ ، ولا نظرَ تسلي ، إنما هوَ نظرُ الاستفادَةِ . وسؤالي الخامسُ : إذا كانَ لأهلِ النظرِ مقاماتٌ ، فما أحسنُها يا أبا الفرجِ ؟ . .

قال أبو الفرج :

متَّعَ اللهُ الواليَ بمقامِ الولايةِ وأعانَهُ على ما وُلِيَّ . . فنحنُ ما نَظرْنا إليكمْ إلا نَظَرَ المكاشَفَةِ فإنْ كانَ لأهلِ النظرِ مقاماتٌ شتى ، فخيرُها مقامُ الناظرينَ إلى ربِّهم في الحياةِ الدنيا بتقوىً وإحسانٍ ، فإنهمْ إنْ لمْ يكونوا يرونَ اللهَ فإنهُ يراهمْ ، ويجزيهم في الحياةِ الآخرةِ مقاماً ينظرون إليه سبحانه فَيُنَضِّرُ وجوهَهُمْ ، ألَمْ تسمعْ أيها الأميرُ قولَ اللهِ تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [الأنبياء ٢٢ ـ ٢٣] .

قال الوالي :

صَدَقَ اللهُ العظيمُ ، اللهمْ اجعلنا منهمْ .

قال أبو الفرجِ :

آمينْ .

حديث الحواجب

حديث الحواجب

حَدَّثنا عبدُ اللهِ البصري قالَ :

سألتُ أبا الفرجِ في مِرْبَدِ البصرةِ عن أشكالِ الحواجبِ فقالَ :

أتسألني لأني طبيبٌ كحالٌ ، أمْ لأني أنشدُ بعضَ أشعاري عن العيونِ ؟! .

قال عبدُ الله البصريِ : فقلتُ :

الاثنانِ معاً يا أبا الفرجِ . .

قالَ :

يا عبدَ اللهِ . . سأُعَلِّمُكَ عَشَرَةَ أوصافٍ للحاجبِ علّها تَشفي لكَ غليلاً إنْ كنتَ تبحثُ عنْ وصفٍ لحاجبِ من تُحبُّ . . ولكنْ اعلمْ أنَّ الحاجبَ سمي كذلكَ لأنه يحجبُ العينَ عن شعاعِ الشمسِ وعن كثيرٍ من الأذى . . .

أما أولُ الأشكالِ فهو البَلَجُ : وهو أن ينقطعَ الحاجبان ، ويكونَ ما بينهما نقياً من الشَّعْرِ .

وثانيها الخَطَطُ : وهو رِقَّةُ الحاجبينِ ، وقلةُ الشَّعْرِ فيهما .

وثالثها الزَجَجُ : وهو طولُ الحاجبينِ ، ودقتُّهُما ، وسبوغُهما إلى مؤخرِ العينِ ، كأنَّهما خُطّا بقلمٍ .

ورابعها القَرَنُ : إذا التقى طرفا الحاجبينِ .

وخامسها **الوَطَفُ** : وهو كَثْرَةُ شَعْرِ الحاجبين والأهدابِ مع استرخاءٍ وطولٍ .

وسادسُها **النَّمَصُ** : وهو قلَّةُ شَعْرِ الحاجبينِ .

وسابِعُها **الدَّمَصُ** : وهو رقَّةُ الحاجبِ من آخرِه ، وكثافَتُهُ من مبتداهُ .

وثامِنُها **الحاجِبُ الأَغْضَفُ** : وهو المتثنيُ المتكسرُ .

وتاسِعُها **الحاجِبُ المُقَوَّسُ** : إذا كانَ شبيهَ القوسِ في انعطافِهِ .

وعاشِرُها **الحاجِبُ المُهَلَّلُ** : إذا كانَ شبيهاً بالهِلالِ . .

فصريعُ أيِّها أنتَ يا عبدَ اللهِ ؟! .

يقولُ عبدُ الله البصريُّ : فقلتُ

وَفَـاحمـاً وَحَـاجبـاً مُـزَجَّجَـا
وَفَـاحمـاً وَمُـرْسَنَـاً مُسَـرَّجَـا

فقالَ أبو الفرجِ : أَلا أُعَلِّمُكَ أجملَ ممّا تقولُ :

اسمعْ إلى أبي طالبٍ يصفُ الرسولَ الكريمَ صلواتُ ربي عليهِ وسلامُه ، حينَ أتى بهِ إلى الكعبةِ ، وهو ابنُ اثنتي عشرةَ سنةً ، وقدْ أصابَ القحطُ والجفافُ مكةَ ، وطلبَ منه أن يسألَ ربَّ البيتِ غيثاً ، وما كانَ في السماءِ قزعةُ سحابٍ ، فما لبثَ الغلامُ عليه صلواتُ ربي وسلامهُ ، أن أسندَ ظهرَهُ إلى الكعبةِ وأشارَ باصبعهِ إلى السماءِ ، فتجمعتْ الغيومُ ، وأمطرتْ . . فقالَ أبُو طالب :

وَأَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ
ثِمَالُ اليَتَامَىٰ ، عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ

صلى الله عليه وسلم ، روحي فِدَاهُ

حديث الألوان

حديث الألوان

حَدَّثَ أبو سليمٍ قصّارُ الثيابِ قالَ :

كنا نُلَوِّنُ الثيابَ يوماً فسألني غلامي قالَ :

يا أبا سليمٍ أراكَ تكثرُ من الأزرقِ ، والأخضرِ ، والأسودِ ، والأبيضِ ، في تلوينِكَ للثيابِ ! .

قال أبو سليمٍ :

مرّ أبو الفرجِ يوماً بفنائي ونظرَ إلى ثوبٍ أزرقَ فقالَ :

مِنْ أحداقي تَهْمي غَيْمَهْ
يَهْميْ عِطْرٌ وَرْدِيْ
وَيُغَنِّي شِعْرْ
مِنْ أَجْلِ عُيُونٍ مِثْلِ البَحْرْ
فيها العُمْقُ الأَزْرَقْ
وَبِها عُمْرِيْ يَغْرَقْ

فأخرجتُ لهُ قطعةَ قماشٍ أخضرَ فقالَ :

لَوْ يا حُبّي عِنْدي زَوْرَقْ
لَوْ أَنّي رُبّانٌ أَبْحَرْ
لَوْ . . كَيْ أَرْسُو في مَرْفَأِ عَيْنَيْكِ الأَخْضَرْ

ثمّ التَفَتَ فرأى خِمَاراً أبيضَ عليهِ علاماتٌ سودٌ فقالَ :

عَيْنَاكِ تَبْذُر بي حَقْلاً مِنَ اللَّهَبِ
حَوْراءُ تَغْزِلُني لَحْناً مِنَ الطَّرَبِ

واللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَطُفْ بالصُّبْحِ يَرْكَبُهُ
إلاّ بها لاكْتفَى وَحْياً بَنُو العَرَبِ

بما ابْتَغَى شاعِرٌ للشِّعْرِ مُلْهِمَةً
أَوْ ما تَغَنَّتْ تَرَانِيمُ الهَوَى الطَرِبِ

قال أبو سليمٍ القصّارُ :
ومنذُ ذلكَ اليومِ وأنا مولعٌ بهاتِه الأَلوانِ .

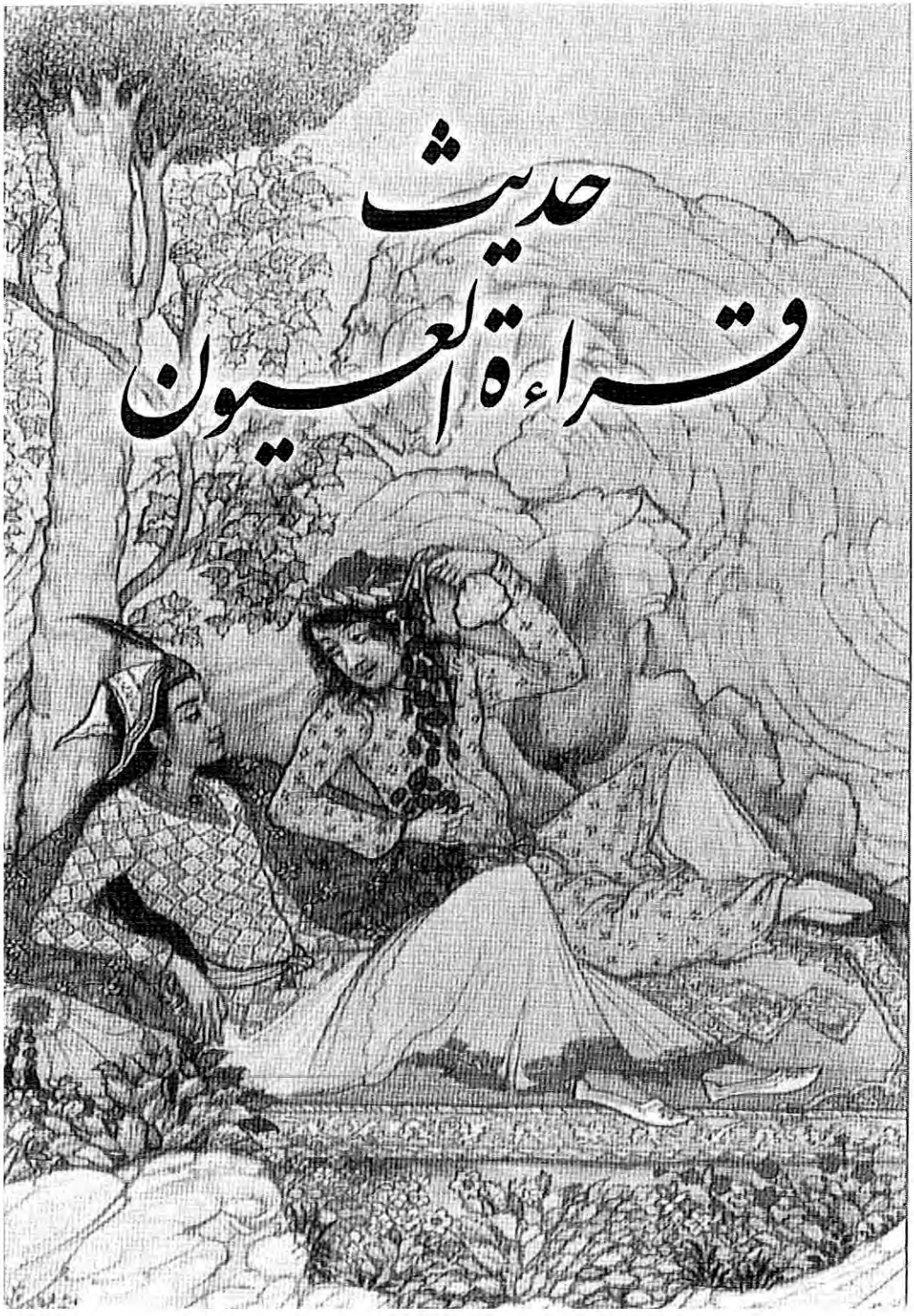
حديث
قراءة العيون

حديث قراءة العيون

حدّثنا أبو المعالي الكنديُّ قالَ :

ارتحلنا أنا وحمّادُ الراويةُ إلى باديةِ السماوةِ ذاتَ ربيعٍ ، فالتقينا أبا الفرجِ الكحَّالَ في ليلةِ سمرٍ ، فسألَهُ حمّادُ الراويةُ قالَ :

أصحيحٌ يا أبا الفرجِ تستطيعُ بما أوتيتَ مِنْ خبرةٍ أن تقرأَ نفوسَ الناسِ منْ عيونِهِمْ ؟! .

قال أبو الفرجِ :

يا حمّادُ إذا نظرتَ في عينينِ ، ألا تحسُّ أَنَّ صاحبَهما ذو خبرةٍ وذكاءٍ ؟! . وأُخرَيَينِ تدلانِكَ على نفسٍ كئيبةٍ قلقةٍ ؟! .

قالَ حمّادُ : بلى .

قال أبو الفرجِ :

فمنها ما يَدُلكَ على صفاءِ النفسِ ، أو حدّةِ العاطفةِ ، أو النشاطِ الموفورِ . .

ومنها مَنْ إذا نظرتْ إليكَ بتَفتيرٍ أَعْلَمَتْكَ بالقَبولِ ، ومنها إذا أدامتْ النظرَ دلّتكَ على التوجعِ والأسفِ .

وهناكَ مَنْ إذا نظرتَ في عينهِ سَكَبَ في روحِكَ رقةً وحناناً أو هدوءاً ، كليلٍ ساجٍ في باديةٍ . . .

ومنهم إذا أَمْعَنْتَ في عينيهِ عَرَفْتَ أنهُ هادىءٌ أو متكاسلٌ ، مزاجيٌّ غيورٌ ، أو ساخِرٌ ماكرٌ . . .

أليسَ من العيونِ ما يذكركَ بصفاءِ السماءِ ؟! .

أو عمقِ اليُمُومِ ؟! .

أليسَ منها ما يعرجُ بكَ في ملكوتٍ كلُّه دهشةٌ ؟! .

أليسَ منها ما يريكَ مفاوِزَ الصحراءِ وسرابَها ؟! .

أليس منها ما تطفو عليهِ الأجفانُ بهدوءٍ كما تُرَفْرِفُ الطيورُ البيضاءُ على بحيراتِ الشمالِ ؟! . .

أليسَ هناكَ من العيونِ التي تبسمُ ، أَو تتوسلُ ، تفكرُ أو تترنمُ ؟! .

أليسَ هناكَ من العيونِ التي تتسعُ أمامَ من تحبُ ، وتنكمشُ لدى من تكرَهُ ؟! .

وانظرْ إلى عيونِ النساءِ ألا تحسُ أنكَ تحتسي منها خمراً حيناً ، وحيناً مرّاً علقَما ؟! .

ألمْ تحس أن عينيْ امرأةٍ ما في لحظةٍ ما تأخذُكَ وتلقيكَ في « الهُناكِ » بين الحلمِ والمستحيلِ ؟! .

إذا رمتكَ امرأةٌ بسهامِ لحظِها فإمّا اختلجتَ أو جمدتَ ، إمّا انشرحتَ أو انكمشتَ ، إمّا رأيتَ العالمَ فردوساً أو ناراً تَلَظّى . . .

فهلْ من عجبٍ أنَّ عيونَ الناسِ كانتْ المُلهمَ للشعراءِ ، والرسامينَ ، والفنانينَ ، منذ بدءِ الخليقةِ ؟! .

بلْ وستظلُ عيونُ المرأةِ هكذا حتى تغمِضَ الدنيا عينَيْها . ولذلك قال الشاعرُ :

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْداها مِنَ النظَرِ
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فتكَتْ في قَلْبِ صاحِبِها
فَتْـكَ السِّهـامِ بِـلا قَـوْسٍ ولا وَتَـرِ

المَـرْءُ مـا دامَ ذا عَيْـنٍ يُقَلِّبُهـا
في أَعْيُنِ الغِيدِ مَوْقوفٌ على الخَطَرِ

يَسُـرُّ مُقْلَتَـهُ مـا ضَـرَّ مُهْجَتَـهُ
لا مَـرْحَبـاً بِسُـرُورٍ عَـادَ بـالضَّـرَرِ

ولهذا ، ولذاكَ قالَ اللهُ تباركَ وتعالى :
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [النور ٣٠]
﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ﴾ [النور ٣١]
صدقَ اللهُ العظيمُ .

حدیث الطب

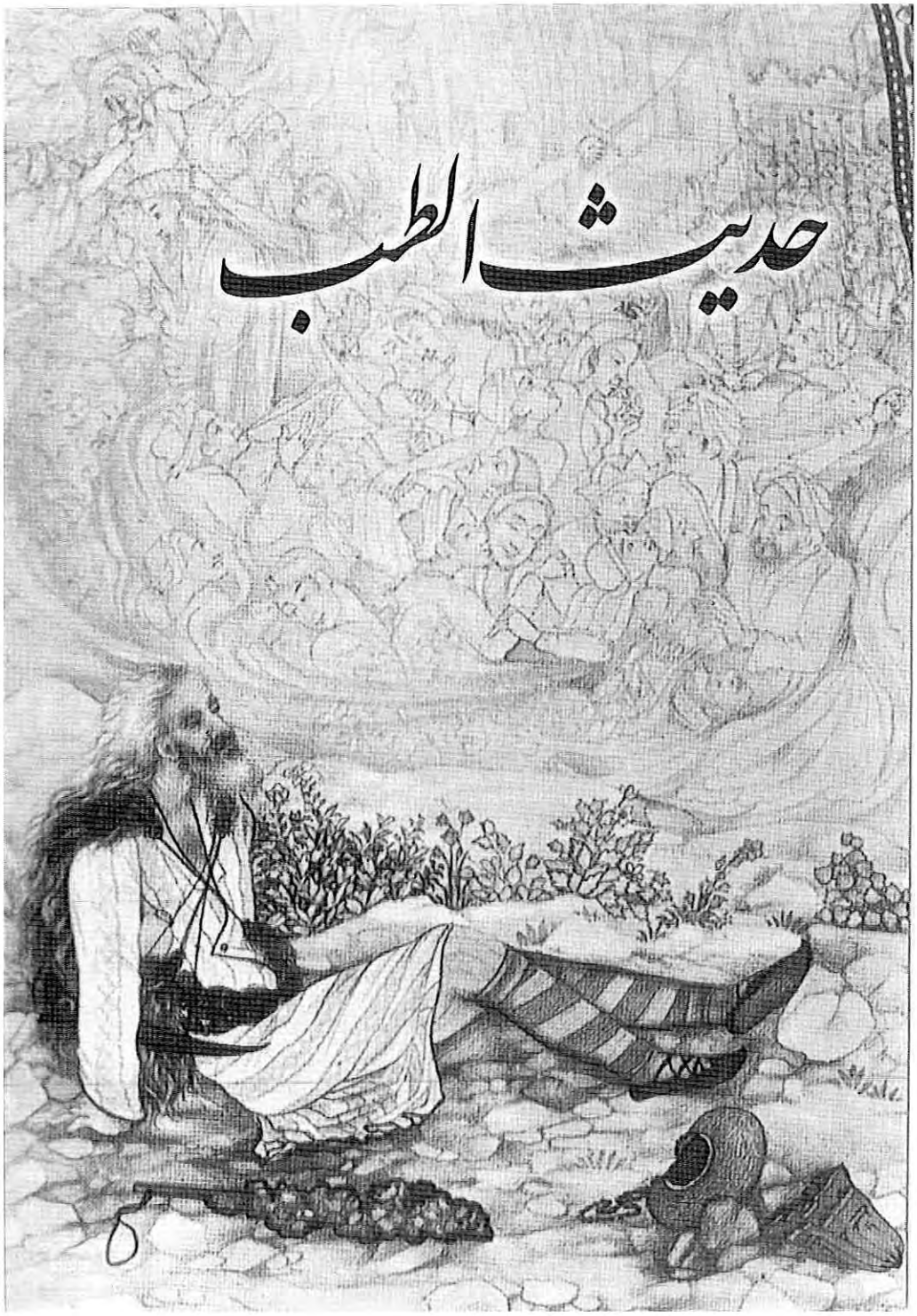

حديث الطبّ

حدّثنا أبو منيرٍ العطارُ قال :

أخبرنا « تَأَبَّطَ خَيْراً » أَنَّهُ سألَ أبَا الفرجِ بعدَ انفضاضِ مجلسِ والي البصرةِ قالَ :

يا أبا الفرج ، وأنتَ الطبيبُ الكحالُ ، وأوتيتَ من العلمِ ما أوتيتَ ، وجدتُكَ تصفُ مقلةَ العَيْنِ كما يَفْعَلُ أهلُ الأدبِ ولا تُفَصِّلُ كما يَفْعَلُ أهلُ الطبِّ فَلِمَ كانَ ما كانَ ؟! . .

قالَ أبو الفرجِ :

يا ثابتُ . . إنما كنتُ أحاورُ أهلَ أدبٍ ، ولكلِ مقامٍ مقالٌ ، فإذْ سألتني فاعلمْ أَنَّ المقلةَ هي عضوُ الإبصارِ ، وما يحيطُ بها ، إنما أحاطَ بها لحفظِها وخدمتِها ، فالمحجرُ العظميُّ وما يسمّيه أهلُ الطبِ جوفَ الحجاجِ ، خُلِقَ كغرفةٍ تحتوي المقلةَ وتوابعَ لها من عضلاتٍ ، وأعصابٍ ، وأوعيةٍ ، وشحمٍ ، تتكىءُ المقلةُ عليه .

والحاجبان لتلطيفِ الأشعةِ الضوئيةِ الآتيةِ إلى العينينِ . والأجفانُ مع أهدابِها وهي أَغطيةٌ متحركةٌ ، وظيفتها حفظُ العينين من دخولِ الأجسامِ الغريبةِ ، ومن وصول الضوءِ الكثيرِ إليها ، وما تفرزُ الغددُ الموجودةُ فيها والمفتوحةُ بين الأهدابِ تجعلها تطفو على المقلةِ بسلاسةٍ مغريةٍ . والغدة الدمعية المركبةُ بالجزءِ الأعلى مما يلي الصدغَ تفرزُ الدمعَ الذي يرطبُ العينَ ويقْتُلُ أعداءَها من

الكائناتِ الدقيقةِ ، ويغسلها ثم ينصرفُ عبر مجرىً للدمعِ فتحتاهُ العلويتانِ في الموقِ وفتحتهُ السفليةُ في الأنفِ . والمقلةُ تحيطُ بها عضلاتٌ ستٌ ترتكز عليها وعلى قاعِ وسقفِ ومنتهى المحجرِ العظميِ لتحركها بالاتجاهاتِ المختلفةِ .

أما المقلةُ نفسُها فتتألفُ من :

البياضِ الذي ندعوه في الطبِّ بالصَّلْبَةِ وهي جدارٌ سميكٌ يحيطُ بها غشاءٌ لماعٌ رقيقٌ يدعى المُلْتحمةُ يغطيها ويغطي باطِنَ الأجفانِ مما يلي المقلَة ، وهذهِ الصلبةُ تحيطُ من وسطها بجزءٍ شفافٍ مستديرٍ ومحدودبٍ إلى الأمامِ كمثلِ قبةِ المسجدِ الجامعِ ، ويسمى هذه الجزءُ بالقرنية ، والتي يظهرُ من خلفها القزحية التي تتلونُ بألوانٍ مختلفةٍ عند الناسِ ، ويفصلها عن القرنيةِ فراغٌ مليءٌ بالرطوبةِ المائية ويسمى بالبيت الأمامي ، وهذه القزحيةُ مثقوبةٌ في

الوسطِ ، بثقبةٍ تدعى الحدقةَ أو البُؤْبُؤَ أو إنسانَ العَيْنِ وظيفتها إمرارُ الأشعةِ الصادرةِ من المرئياتِ لتخترقَ العدسةَ المستقرةَ خلفَ هذا البؤبؤ والتي تتعلقُ بأليافٍ غايةٍ في الدقةِ على عضلةٍ محيطةٍ بالقزحيةِ من خلفها كالخاتمِ تدعى الجسم الهدبي والذي بتقلصه وانبساطِه تتحدبُ وتتسطحُ هذه العدسةُ التي تدعى الجسم البللوري لتمكننا من الرؤيةِ على مسافاتٍ متباينةٍ ، وهذه الخاصيةُ تُفْقَدُ عند تقدمِ العمرِ ، فلا يستطيعُ الشيخُ أن يرى عن قربٍ كما كانَ أيامَ شبابِه ، كما أنَّ هذه العدسةَ تصابُ بعتامةٍ ندعوها في علم الطبِ بالسادِّ الذي نقومُ حالياً بقَدْحِه داخلَ المقلةِ ، ولكنهم في قابلِ الأيامِ سيخترعونَ طريقةً لإخراجِه وإبداله بعدسةٍ اصطناعيةٍ ، وهذه العدسةُ يفصلها عن القزحيةِ خلطٌ مائي يسمى بالبيت الخلفي ، والأشعةُ التي تخترقُ هذه العدسةَ تتجمعُ في جزءِ الإبصار من المقلةِ والذي

ندعوهُ بالشبكية ، وهي انتشارُ العصب البصري الخارجِ من المقلةِ والمنتهي في الدماغِ والذي ينقلُ ارتساماتِ الأشياءِ المنطبعةِ على الشبكيةِ ، وبين الشبكيةِ والصلبةِ غشاءٌ عنكبوتيٌّ دمويٌّ أسودُ اللونِ يدعى المشيميةُ التي تستمدُ دمَها من أوعيةٍ تخترقُ الصلبةَ من الخارجِ . وهذه المقلةُ تملؤها رطوبةٌ كزلالِ البيضِ تسمى الجسم الزجاجي ، وإذا اختلَّ وقوعُ الأشعةِ على مركزِ الشبكيةِ أصيبَ الإنسانُ بحسرِ البصرِ أو مدِّهِ وإذا اختلَّ تكورُ سطحِ القرنيةِ أُصيبَ بحرجِ البصرِ وكلٌّ منها يحتاجُ إلى منظارٍ خاصٍ به لكي يتمكنَ الإنسانُ من الرؤيةِ .

فانظرْ يا ثابتُ إلى آثارِ رحمةِ اللهِ ، أعطى كلَّ جزءٍ وظيفةً محددةً ، وجماليةً باهرةً ، سخَّرَها لنا لنرى ، وأَمْتَعَنا بمنظرِها في آنٍ معاً ، فسبحانَ اللهِ الذي خلقَ فَسَوّى ، وقَدَّرَ ، فهدَىٰ . . .

حديث ثلاثة الرّهط

حديث ثلاثة الرهط

حدثنا عمرو بن أبي حيدرةَ قالَ :
حدثنا « تَأَبَّطَ خَيْراً » قالَ :

جاءَ ثلاثةُ رَهْطٍ إلى دارَةِ أبي الفرجِ يطلبونَ أبياتَ شعرٍ قالَها في الأهدابِ ، واللحاظِ ، والأجفانِ ، فسألَ أَولهم :

أصحيحٌ يا أبا الفرجِ ، كنت تتفيأُ في ظلِّ أهدابِ « واحة » إذا اشتدَّ قيظُ عمرِكَ ؟! . .

قالَ أبو الفرجِ :

وَأَنَا بَحَّارُ شَوْقٍ ، وَشِراعي أَضْلُعي
وَعَلى الهُدْبِ الحَزينِ الصَبِّ جَالْ
رَجْعُ مَوَّالٍ حَزَينٍ لا يُقالْ
في بِحَارِ الشَّوْقِ أَسْفارٌ لَهُ . .
وعَلَى شُطْآنِ هُدْبَيْها المَآلْ .

قال الثاني :

هَلْ كانَ رَبَابُكَ يَسْتَمِدُّ أَلحانَهُ من جَفْنِ « واحةَ » ؟! .

قالَ أبو الفرجِ :

بِنْتَ الدَّلاَلِ عَلَتْ عَرْشَ الجَمَالَ سَناً
يَـزيـدُ فـي حُسْنِهـا طَـرْفٌ بـه حَـوَرُ

واخْتـالَ لَحْـنٌ علـى جَفْـنٍ لَهَـا نَعِـسٍ
فَجُـنَّ مِـنْ لَحْنِهـا القِيثـارُ والـوَتَـرُ

قالَ الثالثُ :
ولحظُها يا أبا الفرجِ ؟! . .

قال :
أَفـديـهِ بِنَفْسِـي لَحْظـاً قَطَّـرَ خَمْـراً ، يُسْكِـرُ
حتّى لَوْ عَتَبَا ! . .

ثم التفتَ إليهم وقالَ :

مالَكُمْ ويلَكمُ كأنكمْ لاتعرفونَ كيفَ يُصْرَعُ العُشّاقُ؟! .

أما سمعتمْ الشريفَ الرضيَّ :

يا قَلْبُ مالَكَ لا تُفيقُ وَقَدْ رَأَتْ
عَيْنـاكَ كَيْـف مَصَـارِعُ العُشَّـاقِ

فَتكَتْ به الحَدَقُ المِرَاضُ وَلَمْ تَزَلْ
تُشجـي القُلـوبَ جِنَـايَـةُ الأَحْـدَاقِ

قال « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ :

أبعدَ هذا العمرِ ما زلتَ تَذْكُرُ ؟ . .

فنظرَ إلي نظرةَ مُتَحَسِّرٍ وقالَ :

مَضَـتِ الشَّبيبَـةُ والحَبيبَـةُ فـالتقَـىَ
دمعـانِ فـي الأَجْفـانِ يَـزْدَحِمـانِ

قالَ عمرو بن أبي حيدرةَ :

فوالله ِغامتْ بدموعِها عَيْنايْ .

حديث نعمة البصر

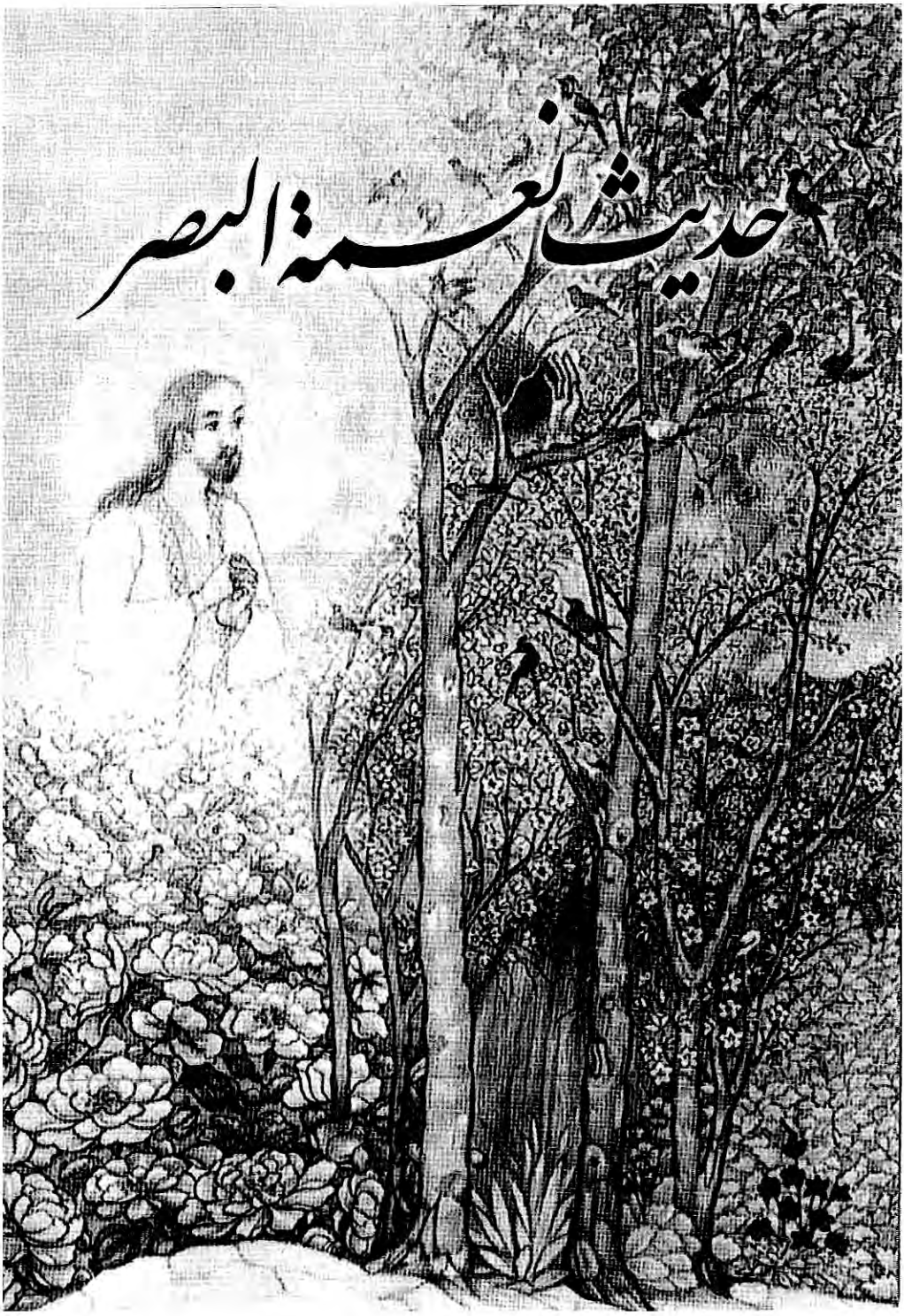

الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

« إتحاف الأنام في خطب سيد الأنام »

حديث نعمة البصر

حدثنا أبو محمدٍ العشَّابُ قالَ :

جاءَ أبو الفرجِ يوماً يقودُ تَأَبَّطَ خَيْراً . وقالَ :

أعطني قليلاً من عشبةِ الألمِ وجرعةَ عسلٍ مع قليلٍ من الماءِ ، ففركَ العشبةَ بينَ يديهِ وأضافَ إليها قليلاً من العسلِ ثمَّ مزجها بشيءٍ من الماءِ حتى أصبحتْ كالسائلِ الغليظِ القوامِ ، وأجلسَ « تَأَبَّطَ خَيْراً » وفتحَ له عينيهِ المُحْمَرَّتينِ ، الدامعتينِ ، ووضعَ في كلٍّ منهما بعضاً من

المزيجِ ، ثم أغمضهما له ، ووضعَ عصابةً عليهما ، وقالَ : ثابتُ . . لا تَفْتَحْهُمَا قبلَ مساءِ الغدِ ، ثم أَنْقَدَني بضعَ دراهمَ وذهبَ . . .

يقولُ أبو محمدٍ العشَّابُ :

فلقيتُ « تَأَبَّطَ خَيْراً » ، بعدَ تسعِ ليالٍ في دارِ ندوةِ السمرِ فقلتُ : يا ثابتُ . . أَراكَ بَرِئْتَ ؟! . .

قال : نعمْ .

قلتُ : ألا أخبرتنا بما حَدَثَ ؟! . .

قالَ :

كنا لبعضِ شأننا فَهَبَّتْ علينْا عاصفةٌ من الرمالِ ، فملأت عينيَّ بالرملِ ، فما إن فركتهُما حتى حَدَثَ ما رَأَيْتَ ، وبعد أن تركناكَ أخذني أبو الفرجِ إلى دارتِهِ ، وأنا مغمضُ العينينِ ، وكانَ يُخَفِّفُ عني بأحاديثَ مختلفةٍ ، فقلتُ :

يا أبا الفرجِ . . أنتَ أغمضتَ عينيكَ ، فلم يُصِبْهُما ما أصابَ عينيَّ ؛ ولكنْ ما بالُ هذا الجملِ الذي كانَ يحملنا ، ظلَّ يسيرُ وكأنَهُ يَرَى ؟! . .

قالَ أبو الفرجِ : نعمْ يا ثابتُ . . إن للجملِ جَفْناً ثالثاً شفافاً يُسْدِلُهُ على عينيهِ حينما تكونانِ مفتوحتينِ ، إذا هَبَّتْ عاصفةُ غبارٍ ، أو ازدادَ وهجُ شمسٍ ، ليقيهما الغبارَ والوهجَ الشديدَ ، أفليسَ من الأجدرِ بنا نحنُ الكحالينَ أن نخترعَ شيئاً كهذا نضعُهُ على عيوننا عند الحاجةِ إليهِ ؟! . .

قلتُ :

بلى يا أبا الفرجِ ؛ لو تعلمُ ما علمتُ من نعمةِ البصرِ بعدَ أن أغلقتَ لي عينيَّ ؟! فإذا أَرَدْتَ أن تعرفَ نعمةَ الله عليكَ ، فأغمضْ عينيكَ ! . .

قالَ أبو الفرجِ :

ألا أحدِّثُكَ بحديثٍ عن نعمةِ البصرِ . .

قالَ « تَأَبَّطَ خَيْراً » : فقلتُ : معكَ ؛ أَحبُّ إليَّ أنْ أسمعَ مِنْ أَنْ أقولَ .

قالَ :

رُوينا عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قالَ :

خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ ، فقال :

ـ « خرجَ من عندي خليلي جبريلُ آنفاً فقالَ : يا محمدُ والذي بعثكَ بالحقِ . . إن لله عبداً من عبادِهِ عَبَدَ اللهَ خمسمئة سنةٍ على رأسِ جبلٍ في البحر عرضُهُ وطولُه ثلاثونَ ذراعاً في ثلاثين ذراعاً ، والبحرُ محيطٌ به أربعةَ آلافِ فرسخٍ من كلِّ ناحيةٍ ، وأخرجَ لهُ « عيناً » عذبةً بعرضِ الإصبعِ تفيضُ بماءٍ عذبٍ فيستنقعُ في أسفلِ الجبل ، وشجرةَ رمانٍ تُخْرِجُ في كلِّ ليلةٍ رمانةً ، يَتَعَبَّدُ يومَهُ . . فإذا أمسى نَزَلَ ،

فأصابَ من الوضوءِ ، وأخذَ تلكَ الرمانةَ فأكلَها ، ثم قامَ إلى صلاتِهِ ، فسألَ ربَّه ، عندَ وقتِ الأجلِ أن يقبضَه ساجداً ، وألاّ يجعلَ للأرضِ ولا لشيءٍ يُفْسِدُهُ عليهِ سبيلاً حتى يبعثهُ اللهُ وهو ساجدٌ » .

قالَ فَفَعَلَ ، فنحنُ نَمُرُّ عليه إذا هبَطَنا ، وإذا عَرَجْنا ، فنجدُ له في العِلْمِ أنَّهُ يُبْعَثُ يومَ القيامةِ ، فَيُوقَفُ بين يدي اللهِ . . فيقولُ له الربُّ :

ـ « أَدْخلوا عبدي الجنةَ برحمتي » .

فيقولُ :

ـ « ربي بل بِعَملي » .

فيقولُ اللهُ :

ـ « قايِسُوا عَبْدي ، بنَعْمَتي عَلَيْهِ ، وبِعَمَلِهِ » .

فتوجدُ نعمةُ « البَصَرِ » قد أحاطَتْ بعبادِةِ خمسمئةِ

سنةٍ ، وبقيتْ نعمةُ الجسدِ فضلاً عليهِ ، فيقولُ :

ـ « أدخلوا عبديَ النارَ » .

فَيُجَرُّ إلى النارِ . . فينادي :

ـ « ربِّ . . برحمتكِ أدخلني الجنّةَ » .

فيقولُ :

ـ « رُدُّوهُ » .

فَيُوقَفُ بين يديهِ فيقولُ :

ـ « يا عبدي مَن خَلَقَكَ ، وَلَمْ تَكُ شيئاً ؟ . »

فيقولُ :

ـ « أنتَ يا ربُّ » .

فيقولُ :

ـ « مَنْ قَوَّاكَ لعبادةِ خمسمئةِ سنةٍ ؟ . »

فيقولُ :

ـ « أنتَ يا ربُّ » .

فيقولُ :

ـ « مَنْ أَنْزَلَكَ مِنْ جَبَلٍ وَسْطَ اللُّجَةِ ؟ وأخرجَ لكَ الماءَ العذبَ من المالحِ ؟ وأخرجَ لكَ كلَّ ليلةٍ رمانةً ؟ وإنما تخرجُ مرةً في السنةِ ؟ وسَأَلْتَهُ أنْ يَقبضِكَ سَاجِداً فَفَعَلَ ؟ » .

فيقولُ :

ـ « أنتَ يا ربُّ » .

قالَ :

ـ « فذلكَ بِرَحْمتي ، وَبِرَحْمتي أُدْخِلُكَ الجنةَ . . أَدخلوا عبدي الجنةَ . . فَنِعْمَ العبدُ كنتَ يا عبدي » .

فَأَدْخَلَه اللهُ الجنةَ .

قال جبريل :

ـ « إنما الأشياءُ برحمةِ اللهِ يا مُحَمَّدُ » .

المحتوى

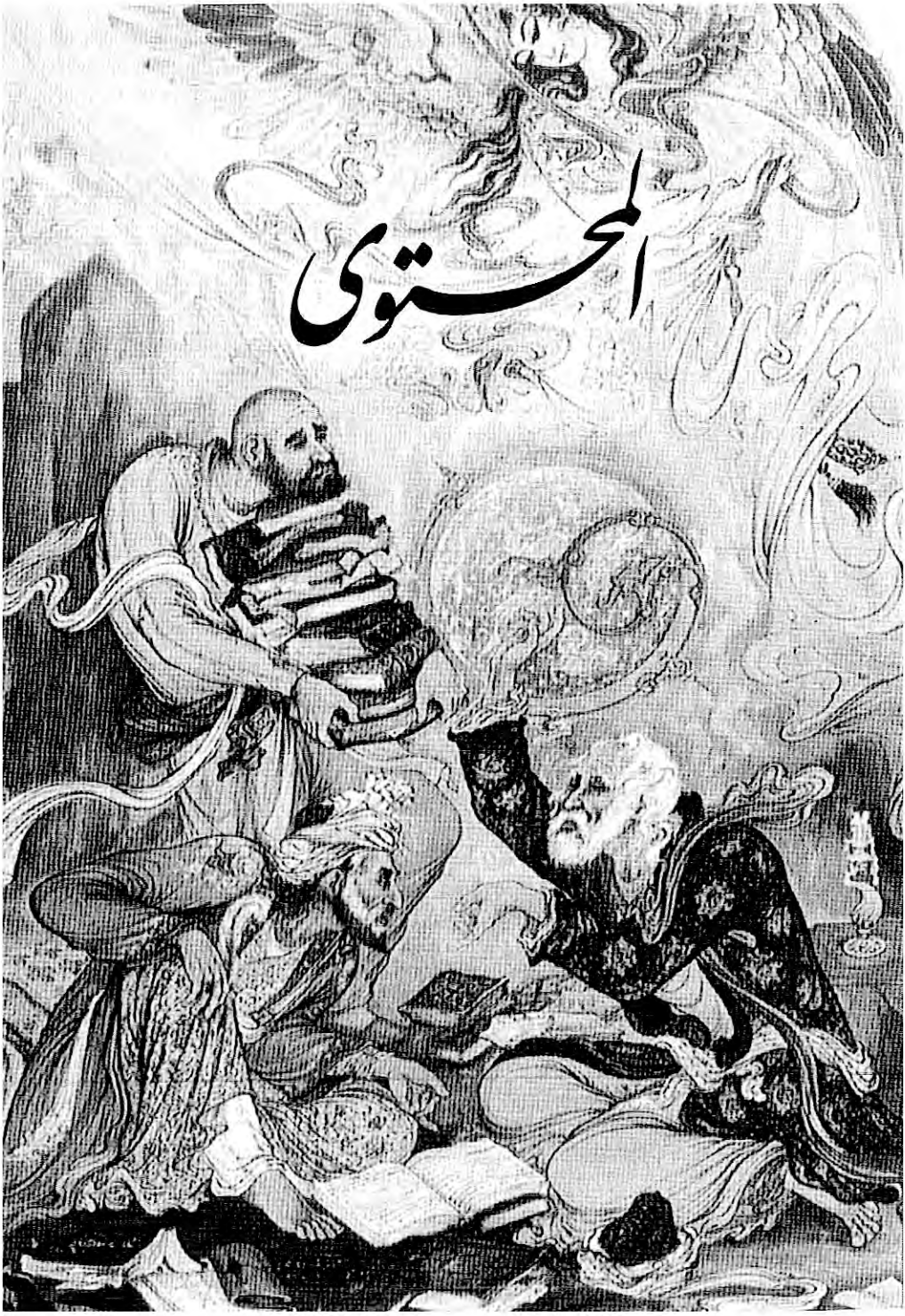

المحتوى

الصفحة

- تعريف بالشاعر ٧
- الإهداء ١٥
- في فيء الكتاب ١٧
- استهلال ٢٥

الكتاب

- حديث سحر العيون الأول ٣٣
- حديث سحر العيون الثاني ٤١
- حديث سحر العيون الثالث ٤٩
- حديث سحر العيون الرابع ٥٧
- حديث الدمع الأول « الأسماء » ٧١

الصفحة

- حديث الدمع الثاني « الأفعال » ٨١
- حديث الدمع الثالث « أمكنة وأزمنة » ٨٩
- حديث مجلس الوالي ١٠١
- حديث الحواجب ١٢٥
- حديث الألوان ١٣١
- حديث قراءة العيون ١٣٧
- حديث الطب ١٤٥
- حديث ثلاثة الرهط ١٥٣
- حديث نعمة البصر ١٥٩
- المحتوى ١٦٩

الدكتور محمد صالح الدويل
هدب القافية
شعر

الدكتور محمد صالح الدويل
تناسيم على مقامات الروح
شعر

الدكتور محمد صالح الدويل
رعشة الغيم بالرغبة
شعر

الدكتور محمد صالح الدويل
قراءات في دفاتر الزمن
شعر

الدكتور محمد صالح الأصيل
أسبانيا قطار الزمن
شعر

الدكتور محمد صالح الأصيل
المدن الشعثية تغني
شعر

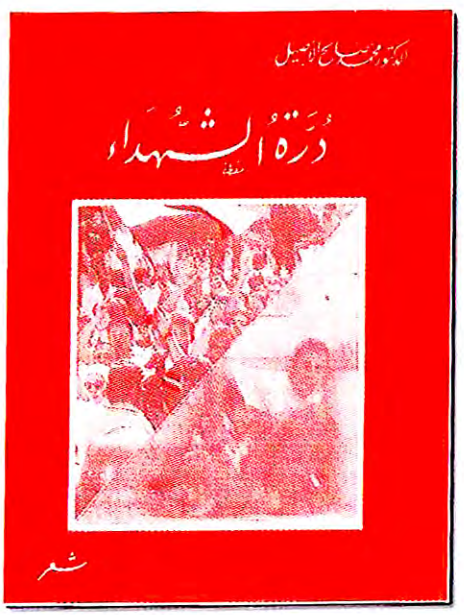
الدكتور محمد صالح الأصيل
دُرّة الشُّهداء
شعر

الدكتور محمد صالح الأصيل
صدى الشعر

الدكتور محمد صالح الأصيل

أبو الفرج .. كحالاً

أحاديث

الدكتور محمد صالح الأصيل

وحاد أبو الفرج

الدكتور محمد صالح الأصيل

حقيقة الحجامة

بين النص الشرعي والفهم الخاطئ

قدم له

الأستاذ هشام عبد الرزاق الحمصي

الدكتور محمد صالح الأصيل

حذت أبو الفرج الطبيب

حذت أبو الفرج الطبيب

٢٠٠٠م

هذا الكتاب .. للأديب فتحي الله عليه
بوابات الكلام الطيب، والعلوم النبيلة،
والمودات الباقيات الشواهد على
الأصابع التي مستها الصفوة بفضيلة العطاء..
والإبانة.

إنه كتاب فيه إشراق، وصفوة،
ونوافذ، وعطر مستجمع من بساتين المعرفة،
وعوالم التأويل، ودلالات الوجد والأنوار
الشامية.

في هذا الكتاب، تقف النفس لتقول:
ما أروع المعنى وقد تدانى صحبته.. كالخيول.